هبط الملاك في بابل

شخصيات المسرحية

ملاك

كوروبى : الفتاة

عاقى : الشحاذ

بختنصر : ملك بابل

نمرود : ملك بابل السابق

رئيس الوزراء

اوتنا بشتم : كبير الكهنة

قائد الجيوش

جندى أول

جندى ثان

جندى ثالث

رجل البوليس

نجيب : مليونير

على : تاجر النبيذ

طمطم : غانية

عامل أول :

عامل ثان

زوجة العامل الأول

زوجة العامل الثانى

جميل : تاجر لبن الحمير

عدد من الشعراء

قائد الحرس

احد الطهاة

جماهير ..

الفصـــل الأول

أهم مكان فى المسرحيـة ـ ليس الـديكور ولا أى شىء آخر ، انها قبة السماء التى تبدو واضحة · وفى السماء تبدو النجوم متألقة كما تبدو من مرصد كبير · وتملأ نصف مؤخرة المسرح · ومن هذه السماء يهبط ملاك ·· له لحية طويلة حمراء وقد ارتدى ملابس شحاذ ممزقة ، والى جواره فتاة غطت وجهها بنقاب · وقد وصل الاثنــــان مدينة بابل فورا واتخذا طريقهما الى شاطىء نهر انفرات · وفى قلب الميدان يوجد مصباح غاز قديم ومن الطبيعى أن يبـــدو هذا المصباح خافتا فى الضوء الباهر للنجوم ·· وفى المؤخرة وعلى جدران البيوت توجد لافتات وعبارات تقول : الشحاذ عدو المجتمع · أيها الشحاذون اشتغلوا فى الحكومة ·· الشحاذة اهانة للبلاد ·· ومن بعيد تبـدو الشوارع الكثيرة المتداخلة التى تشق مبانى المدينة التى تعيش فيها الملايين من الناس وواضح فيها القذارة والقصور العالية ، ومن بعيد تبدو رمال الصحراء ··

الملاك : ما دمت أنت ، يا ابنتى ، قد خلقك الله فى أحسن حال ، منذ لحظات مضت يجب أن تعرفى ، اننى أنا أيضــا الذى أرتدى ملابس شحاذ مهملة ، ملاك · واظن ، اذا لم أكن قـد أخطأت ان هذه المـادة الخشنة التى نزلنا عليها هى الأرض ، وأن هذه البيوت البيضاء هى مدينة بابل ··

الفتاة : نعم أيها المــلاك ··

الملاك : (يخرج خريطة ويتأملها) وأعتقد ان هذه الكتلة القائمة التى تتحرك أمامنا هى نهر الفرات . (وينزل الى قرب الشاطىء ويضع أصبعه فى المـاء ، ثم يضعها فى فمه) وأعتقد أنه يتكون من كميات كبيرة من قطرات الندى ..

الفتاة : نعم أيها الملاك .

الملاك : وهذا الشىء المنحنى فوقنا ـ اذا ما رفعت عينيك قليلا ـ هو القمر ، وهذه السحابة الكبيرة التى وراءنا هى الطريق اللبنى ، وأنت تعرفينها ، فنحن قادمان منها حالا .. (ويلعب بأصابعه فى الخريطة) بالضبط .. فكل شىء مرسوم على الخريطة ..

الفتاة : نعم أيها الملاك ..

الملاك : وأنت التى تمشين الى جوارى اسمك : كوروبى كما قلت لك ، وقد خلقك الله بنفسه منذ دقائق لأننى ـ وأستطيع أن أؤكد لك ـ قد رأيته بعينى وهو يمد يده اليمنى الى العـدم ويحرك أصبعين من يده معا ، وبين أصبعيه ظهرت أنت . فأول خطوات لك كانت على راحة يده .

الفتاة : أتذكر ذلك أيها الملاك ..؟

الملاك : تذكرى ذلك دائما .. لأنك منذ هذه اللحظة قد ابتعدت عن الذى خلقك من العدم وجعلك ترقصين على يديه ..

الفتاة : والآن الى أين يجب ان أذهب ؟

المـلاك : يجب أن تذهبى الى حيث أنت الآن ، يجب أن تـكونى بين النـاس ..

الفتاة : من هم الناس ؟ ..

الملاك : (مضطربا) كان يجب أن أخبرك يا عـزيزتى ، اننى لست خبيرا ولا عندى أية معلومات كافية عن هذه المرحلة من الخلق .. لقد استمعت الى محاضرة واحدة فى هذا الموضوع ، وكان ذلك من ألوف السنين وتبعا لهذا فاننى أعتقد أن الكائنات البشرية لها شكل مثل شكلنا نحن ، وأعتقد أنه شكل غير عملى ، ويبدو أنهم مزودون بأعضاء مختلفة عنا .. ولا أعرف بالضبط ما هو الغرض من هذه الأعضاء .. وسأكون سعيـــدا عندما أسترد صفتى الملائكية قريبا ..

الفتاة : اذن فأنا من الناس !

الملاك : طبعا أنت من الناس .. لك نفس الشكل الانسانى (يتنحنح) وتبعا لتلك المحاضرة التى سمعتها أخيرا : يتزايد عدد المخلوقات بصورة تعاونية بينما أنت خلقك الله من العدم ، ولذلك يجب أن أصفك بأنك كائن غير انسانى .. فأنت أبدية كالعدم تماما ولكنك روحية كالانسان ..

الفتاة : فما الذى جئت به للبشرية ؟..

الملاك : لـما كنت لم تبلغى من العمر الا ربع ساعة فلن أهتم كثـيرا بمثل هذه الأسئلة ، ولـكن يجب أن تعلمى أن الفتاة المهـذبة لا تسأل كثيرا .. فليس من المفروض أن تأتى بشىء للبشرية دائما .. على العكس من ذلك .. قد جىء بك للبشرية ..

الفتاة : لم أفهم .. !

الملاك : لقد أمرت بأن أقدمك لأفقر انسان هنا ..

الفتاة : من واجبى أن أطيعك ..

الملاك : (ينظر الى الخريطة) أحقر النـــاس هم الشحاذون وبالتالى فأنت من نصيب واحد اسمه : عاقى الشحاذ .. واذا صدقت

هذه الحريطة ، هو آخر شحاذ على ظهر الأرض .. فهو كائن له قيمة أثرية ، (وبكبرياء) حقيقة هذه الحريطة رائعة .. مكتوب فيها كل شيء ..

الفتاة : اذا كان الشحاذ عاقى هذا هو أحط الناس ، فلابد أنه تعيس.

الملاك : ما أرق الكلمات التى نستخدمها ونحن صغار .. فكل ماخلقه الله هو جميل ، وكل ما هو جميل هو سعيد .. فى كل رحلاتى فى هذا الكون الواسع ، لم أصادف ذرة شقية ..

الفتاة : صدقت أيها الملاك ..

الملاك : (وعندما يتجهان الى اليمين ينظر هو ناحية الصالة) هنـــا يوجد منحنى فى نهر الفـــرات .. وهنا يجب أن ننتظر حتى يجىء الشحاذ عاقى .. سنجلس هنا ونغفو قليلا ، لقدأرهقتنى هذه الرحلة ، وأعتقد أننا ونحن نطوف حول كوكب المشترى تعثرنا بواحد من أقماره (يجلسان) تعالى الى جوارى ولفى ذراعيك حولى .. وسنتغطى بهذه الحريطة الرائعة .. وقد اعتدت على الشموس بجميع درجات حرارتها .. أما هنا فأكاد أتجمد ، وان كانت هذه المنطقة كما تقول الحريطة ، من أدفأ الأماكن على ظهر الأرض ..

(ويتقاربان تحت الحريطة وينامان ، ومن ناحية اليمين يدخل ملك بابل وهو شاب لطيف ساذج ، وحوله حاشيته التى تتكون من رئيس الوزراء وقائد الجيش ، وكبير الكهنة ، وجلاد ارتدى الملابس الحمراء)

الملك : مادامت قواتى فى الشمال قد وصلت الى لبنان ، وفى الجنوب قد بلغت البحر ، وفى الغرب زحفت على الصحراء ، وفى الشرق لامست سلاسل الجبال ، اذن فقد غزوت العالم كله .

رئيس الوزراء : باسم الحكومة ..

كبير الكهنة : وباسم الكنيسة ..

القائد : وباسم الجيش ..

الجلاد : وباسم العدالة ..

الجميع : نهنئ صاحب الجلالة على النظام الجديد الذى وضعه للعالم كله .

(وينحنون جميعا)

الملك : لقد أمضيت تسعة قرون كشىء يضع عليه الملك نمرود قدميه .. وهذا وضع غير سار .. ولم يكن ذلك هو الهوان الوحيد الذى لقيته ، وانما أمضيت تسعة قرون وأنت يا رئيس الوزراء تبصق خلالها على وجهى كلما جاء لزيارتك أحد من الناس .

رئيس الوزراء : يا صاحب الجلالة ان الملك نمرود هو الذى أرغمنى على ذلك (وينحنى) .

(ونسمع من بعيد طبول زنوج)

الملك : لقد اعتقل الملك نمرود ، وسيصل الى بابل عند مطلع الفجر كما أعلنت طبول الزنوج الذين أهدتهم لنا بلقيس ملكة سبأ . وسيكون نمرود مداسا لقدمى ، وسأرغمك على أن تبصق فى وجهه يا رئيس الوزراء ..

رئيس الوزراء : عندما كنتم جلالتكم قبل ذلك ملكا ، وكان الملك نمرود مداسا لك ، كان من واجبى ان أبصق على وجهه ، ولكن عندما اصبح نمرود منذ تسعة قرون ملكا ، وجلالتكم مداسا له .. كان لابد أن أبصق على وجه جلالتكم . أليس من الأفضـــل أن تعفينى من مهمة البصق هذه ـ وهذا مطلبى وكلما تقدمت به حدث انقلاب فى هذا الوضع .

الملك : العدل هو العدل ، ستقوم بواجبـــك وتبصق .. (ينحنى رئيس الوزراء) ان هذه الامبراطورية متعفنة الى أقصى درجة.. ويجب ألا أدخر وقتا فى تطهيرها .. والحياة قصـــيرة ، وكل المشاريع التى فكرت فيها عندما كنت مداسا لنمرود يجب ان أنفذها بسرعة ..

رئيس الوزراء : يخيل لى يا صاحب الجلالة انك تريد أن تفتح عهد السعادة للدولة ..

الملك : يدهشنى يا رئيس الوزراء أنك تعرف ما يدور فى راسى ..

رئيس الوزراء : الملوك على اختلاف درجاتهم يفكرون بصورة انسانية عندما يكونون فى وضع مهين يا صاحب الجلالة !

الملك : تماما كما حدث أيام الملك نمرود فقد ازدهرت الصناعات ، وتزايد عدد الباعة بالجملة والقطاعى والسماسرة وازداد عدد أصحاب البنوك .. والشحاذون زادوا بصورة مخيفة .. وانا الآن أستطيع أن أتخذ أى اجراء ضد أصحاب البنوك .. يجب أن أفكر فى الميزانية .. أما التسول فقد أصدرت مرسوما بتحريمه ! هل نفذت مراسيمى !

رئيس الوزراء : لقد حولت جميع الشحاذين الى موظفين فى الدولة يا صاحب الجلالة .. انهم الآن يجمعون الضرائب .. فيما عدا شحاذ واحد اسمه : عاقى . انه يصر على أن يظل شحاذا حتى الموت .. !

الملك : هل أقنعه أحد بحقارة أسلوبه فى الحياة ؟

رئيس الوزراء : عبثا حاولنا معه .

الملك : هل جلدتموه ؟..

رئيس الوزراء : وبلا رحمة ..

الملك : هل عذبتموه ؟..

رئيس الوزراء : لايوجد مكان فى جسمه لم نوجعه .. لم نقرصه.. لم نلسعه بالنار .. ولا عظمة واحدة لم ندقها بالحديد ..

الملك : ولا يزال مصراً على الرفض ؟..

رئيس الوزراء : لا شىء يزحزحه عن موقفه ..

الملك : ليس أسهل من شنقه ، ولكن من الهوان أن يحقق حاكم عظيم مثل ما يريده بلا حجة ، ولذلك قررت أن أضيع ســاعة من وقتى أشارك فيها حياة أحط رعاياى .. ضع على كتفى ملابس الشحاذ التى أتيت بها من المسرح ..

رئيس الوزراء : أمرك يا صاحب الجلالة ..

الملك : وضع اللحية التى تناسب هذه الأسمال البالية ..

(يقف الملك فى ملابس الشحاذ)

انظروا جميعا ماذا فعلت من أجـــل خلق امبراطورية لا عيب فيها ، من أجل خلق نظام ينسجم فيـــه الجميع : الملك والجلاد والوزير والشحاذ ، كل واحد فى مكانه .. هذا هو الكمال لا شىء يتطفل على شىء .. هذا هو الكمال .. لا شىء فيه أزيد من شىء ، لا شىء فيه يخرج عن شىء .. ولكن هذا الشـــحاذ يتطفل .. لقد قررت أن أقنعه بأن يكون موظفا فى الدولة .. وذلك بأن أظهر أمامه بمظهر الشحاذ وأن أنافسه لـكى يشعر بأن الفقر هو نهايته .. فاذا أصر على أن يبقى فقيرا فسأشنقه وأعلقه فى مصباح النور هذا ..

(الجلاد ينحنى)

رئيس الوزراء : ان حكمة جلالتكم تذهلنا ..

الملك : أرجوك ألا تنذهل لشيء لا تفهمه ..

رئيس الوزراء : أمرك يا ملك ..

الملك : انسحبوا جميعا .. ولا تبعدوا فقد احتاج اليكم .. ولـكن بشرط ألا يراكم أحد ..

(وينحنون وينسحبون الى مؤخرة المسرح .. ويجلس الملك فى المقدمة .. على شاطىء نهر الفرات .. (وفى هذه اللحظة يصحو الملاك والفتاة كوروبى)

الملاك : (مسرورا) انظرى ، هذا انسان !

كوروبى : انه يرتدى مثل ملابسك وله لحية أيضا .

الملاك : لقد قابلت الرجل الذى نريده يا ابنتى . (الى الملك) يسعدنى أن أعرف الشحاذ عاقى .

الملك : (مضطربا عند رؤية ملاك قد ارتدى ملابس الشحاذين) .. أنا لست عاقى الشحاذ .. انني شحاذ آخر من مدينة نينوى. (وبقسوة) أعتقد أننى وعاقى آخر شحاذين فى العالم كله .

الملاك : (الى كوروبى) اذن فالخريطة التى معى خاطئة . فهناك شحاذ فى نينوى . هناك اذن اثنان من الشحاذين فى العالم والخريطة تقول واحد فقط !

الملك : (لنفسه): ساشنق وزير الداخلية . هناك اثنان من الشحاذين فى امبراطوريتى (الى الملاك) من أين جئت !

الملاك : (مترددا) من وراء لبنان .

الملك : ان ملك بابل العظيم قد أعلنها بصراحة ان العالم ينتهى بعد لبنان . وكل علماء الجغرافيا والفلك يؤمنون بهذا الرأى .

الملاك : (ينظر فى خريطته) : هناك قرى أخرى كثيرة . انظر . هناك أثينا .. واسبرطة .. وقرطاجنة .. وموسـكو .. وبكين (ويطلعه على الخريطة) .

الملك : (يتحدث الى نفسه) : وسأشنق مستشـارى الجغرافى .. (الى الملاك) ان ملك بابل العظيم سيغزو هذه القرى أيضا ..

الملاك : (الى كوروبى) : ان هذا الشحاذ الثانى قد غير موقفنا كله . ومن الضرورى أن أكتشف الآن أيهـما أكثر فقرا .. هل هو عاقى أو هذا الشحاذ من نينوى . وهذا بحث يحتاج الى منتهى الدقة والبراعة .

(ومن اليسار يجىء شحاذ مهلهل الملابس وله لحية ، فعلى المسرح الآن ثلاثة من الشحاذين)

الملاك : وهذا انسان آخر .

كوروبى : ان له نفس الملابس ، مثلك وله نفس اللحية الحمراء ..

الملاك : اذا لم يكن هذا هو الشحاذ عاقى فسأكون فى حيرة هائلة .

الملك : واذا لم يكن هـذا الشحاذ هو عاقى فلا بد من شنق وزير الداخلية .

(ويجلس هذا الشخص الاخير فى منتصف المسرح ، وعلى شاطىء الفرات ، وظهره لعمود النور) ..

الملك : (يتنحنح) : أنت ولا شك عاقى شحاذ بابل .

الملاك : عاقى الشحاذ الذى ذاع صيته فى كل الدنيا .

عاقى : (يشرب من زجاجة خمر) انني لا أهتم بالاسماء .

الملك : كل انسان له اسم .

عاقى : من أنت ؟

الملك : أنا شحاذ أيضا ..

عاقى : اذن فأنت ردىء جدا . آراؤك من الناحية الشحاذية خاطئة ! فالشحاذ لا شىء له : لا اسم ولا فلوس . وهو يطلق على نفسه أى اسم . ثم يغير هذا الاسم بنفس السرعة التى يتناول بها قطعة من الخبز .

الملك : من المهم جـــدا للبشرية أن يحتفظ كل انسان باسم . كل انسان يجب أن يكون شيئا ثابتا .

عاقى : أنا أختار ما يعجبنى . أنا كنت كل شىء . وأى شىء . والآن أنا عاقى الشحاذ . ومن الممكن ان أكون ملكا على بابل ..

الملك : (وقد قفز من مكانه) مستحيل !

عاقى : أن أكون ملكا ؟ ليس أسهل من هذا انها أول خدعة نتعلمها فى فن الشحاذة . لقد كنت ملكا سبع مرات فى حياتى .

الملك : (متمالكا نفسه) لا يوجد ملك أعظم من ملك بابل !

(وكل الحـــاشية يظهرون فى مؤخـــرة المسرح ينحنون ويختفون)

الملك : (بعد صمت وباحترام شديد) أنا لا أستطيع أن أصدق أنك تعرف شيئا عن ملك الملوك .

عاقى : هل هو عظيم ؟ انه انسان ضئيل الجسم والعقل .

الملك : كل التماثيل تدل على أنه وسيم ومحترم .

عاقى : التماثيل ! ومن الذى صنعها ؟ انهم المثالون فى بابل . انهم يجعلون أى ملك يبـــدو كأى ملك آخر . انهم لا يستطيعون أن يخدعونى . اننى أعرف ملكنا . انه مع الاسف لم يأخـذ بنصحيتى .

الملك : (مندهشا) نصيحتك ؟ .

عاقى : انه يستدعينى الى قصره عندما يصاب بنوبة جنون .

الملك : الى قصره ؟ .

عاقى : انه أغبى ملك عرفته فى حياتى . انه يجد صعوبة فى أن يكون ملكا ! .

الملك : انها مهمة صعبة جدا أن تحكم العالم ! .

عاقى : هذا بالضبط ما يقوله الملك دائما . وكل ملك عرفته يردد نفس العبارة . انه العذر الذى يتقدم به الملوك عادة . فكل انسان ليس شحاذا فى حاجة الى عـذر . اننا ننتظر أياما عصيبة قادمة ! .

(يشرب من الزجاجة مرة أخرى وينظر الى المـلاك) . ومن أنت ؟ .

الملاك : وأنا شحاذا أيضا .

عاقى : ما اسمك ؟ .

الملاك : اننى من قرية لا تعرف فيها الاسماء بعد .

عاقى : وأين توجد هذه القرية الجميلة ؟ .

الملاك : وراء حدود لبنان .

عاقى : قطعة جميلة .. وماذا تريد منى ؟

الملك : الأحوال ساءت بالنسبة للشحاذين فى بلادنا لدرجـــة أننى عاجز عن الحياة . ثم اننى يجب أن أجد طعـاما لابنتى التى تراها واقفة هنا وقد غطت وجهها .

عاقى : الشحاذ الذى يعانى مثل هذه الازمة ، لابد أن يكون من الهواة ! .

الملاك : ان نقابة الشحاذين قد دفعت نفقات سفر الى هذه البلاد لكى أتعرف على الشحاذ الشهير عاقى ، فأتعلم منه فن الشحاذة . وأنا أرجوك أن تعلمنى فنونا أخرى من الشحاذة لكى أصبح ناجحا .

عاقى : ان نقابتكم قد أحسنت صنعا . فلا تزال هناك نقابات عاقلة فى الدنيا .

كوروبى : (يانسة وتتحدث اليه) انك تكذب أيها الملاك .

الملاك : ان السماء لا تكذب يا ابنتى . ولكن السماء من حين الى حين تجد صعوبة فى أن تكون مفهومة عند البشر .

عاقى : (محدثا الملك) وأنت لماذا جئت الى هنا ؟ .

الملك : أنا أشهر شحاذ فى مدينة نينوى ! .

عاقى : (مرتابا) تقول انك أشهر شحاذ فى مدينة نينوى ؟ .

الملك : أنا أشهر شحاذ فى مدينة نينوى ! .

عاقى : وماذا تريد منى ؟ .

الملك : عكس ما يريد هذا الشحاذ . لقد جئت لأقنعك بأننا لا نستطيع أن نستمر فى الشحاذة . اننا ولا شك ، نلفت نظر السائحين ، ونضيف شيئا الى سحر الشرق . ولكن الدنيا تغيرت . لقد طلع فجر جديد ، ويجب أن نقبل المرسوم الذى أصدره الملك بتحريم الشحاذة .

عاقى : هذا هو رأيك ؟ .

الملك : لا مكان للشحاذين فى عالم اشتراكى .

عاقى : هكذا ؟ .

الملك : كل الشحاذين فى نينوى وبابل وأور وحلب قد عدلوا عن هذه المهنة منذ أصدر ملك الملوك مرسومه وقد أعطى العمل والخبز للجميع . انهم الآن أحسن حالا مما كانوا عليه من قبل ! .

عاقى : صحيح ؟ .

الملك : بسبب براعتنا نحن الاثنين فى الشحاذة ، لم نشعر بالضائقة المالية .. ولكن هناك شحاذون مساكين عاجزون تماما عن كسب قوت يومهم .. خصوصا بعد ازدهار التجارة الآن . لم نعد نكسب مثلا ولنأخذ الحد الادنى من الاجور ــ مرتبات الشعراء مثلا ! .

عاقى : هذا كلام فارغ ! .

الملك : ولهذا السبب فاننى يا سيدى العزيز ، قررت أن أعدل عن الشحاذة وأن أكون موظفا فى قصر صاحب الجلالة . وأرجوك أن تفعل مثلى وأن تقابل وزير المالية فى الثامنة صباحا . انها آخر فرصة لكى تنفذ هذا القانون فالملك رجل حساس جدا ، وقد يضطر الى شنقك على هذا العمود الذى تستند اليه .

(وفى مؤخرة المسرح يظهر الجلاد وينحنى) .

عاقى : وتقول عن نفسك انك أشهر شحاذ فى نينوى ؟ .

الملك : اننى أشهر شحاذ هناك ! .

عاقي : ولا تكسب أكثر من الشعراء ؟ .

الملك : ليس أكثر .

عاقي : لابد أن هناك خللا فى أسلوبك فى الشحاذة .. اننى وحدى أعول خمسين من شعراء بابل .

الملك : ربما كانت مكاسب الشعراء فى نينوى أكثر مما يكسبه الشعراء فى بابل .

عاقي : أنت كبير شحاذى نينوى وأنا كبير الشحاذين فى بابل . وطالما تمنيت أن أدخل فى مباراة مع شحاذ آخر . لنـدخل فى مباراة فاذا كسبت المباراة التحقنا بالعمل فى الحكومة نحن الاثنين ، فى الثامنة من صباح الغد . واذا كسبت أنا كان لابد أن نستمر فى الشحاذة ، دون أن نهتم بكل ما يتهدد صناعتنا من قرارات رسمية ، فنحن الآن عند الفجر . وهذا هو أسوأ وقت للشحاذة ولكنها فرصة على كل حال لاختار قدراتنا .

الملاك : يا عزيزتى الصغيرة هذه لحظة تاريخية وأنت ستعرفين حالا من سيكون زوجك .. انه أفقر وأحقر الاثنين ! .

كوروبى : وكيف لى أن أعرف ذلك ؟ .

الملاك : بسيطة جدا يا ابنتى . فالذى يخسر فى هذه المباراة لابد أن يكون أفقر الناس وأحقرهم (ويدق على جبهته باعتداد) .

عاقي : اثنان من العمال قادمان من الضواحى ، ليس معهما طعام ، وأمامهما ثلاث ساعات من المشى حتى يبلغا مضارب الطوب - تقدم أنت نحوهما يا شحاذ نينوى .

(يتقدم اثنان من العمال من ناحية اليسار) .

الملك : (يتسول) حسنة أيها العامل الشريف .. حسنة لرفيق لكما سقط جريحا فى مناجم نينوى .

العامل الأول : العامل الشريف ؟! لا تتكلم بهذه الحماقة !

العامل الثانى : ان عمال هذه المناجم يتقاضون أجورا أعلى منا فليهتموا هم بشئونهم .

العامل الأول : تطلب منى حسنة فى زمن تستخدم فيه الدولة الجرانيت بدلا من الطوب ؟

العامل الثانى : لأن الجرانيت يعيش الى الأبد !

عاقي : قرش من كل واحد منكما . اننا نحاول المستحيل لكى نعيش . قولا لأصحاب مضارب الطوب أن يذهبوا الى جهنم . اعطنى قرشا اننى أحد أبناء الطبقة العاملة التى تفضل الشحاذة على أن يستغلها أى انسان آخر .

العامل الثانى : كيف أشعل ثورة وحدى ؟

العامل الأول : أنا لدى أسرة يجب أن أفكر فى مصيرها .

عاقي : وهل تظن أننى بلا عائلة ؟ ان أفراد عائلتى ينطلقون فى كل شارع . وماذا تقصد عندما تتركنى دون مساعدة ، أنا زعيم العمال فى بابل ، ماذا تقصد عندما تتركنى أتضور جوعا ؟ اعطنى قرشا ، والا وجدتم أنفسكم جميعا فى الذل والعبودية ، كما كنتم قبل طوفان نوح : (ويعطيه كل منهما قرشا ويمضيان الى عملهما) .

(ويمسك عاقي القرشين ويلوحهما فى الهواء ويقول) .

عاقي : لقد كسبت الجولة الأولى !

الملك : شىء غريب .. ان العمال فى نينوى يتصرفون على نحو آخر ..

عاقى : وها هو ذا أخونا جميل بائع لبن الحمير .

(ويتقدم جميل بائع من اليسار ويوزع زجاجات اللبن ويضعها أمام الأبواب) .

الملك : هات قرشا يا بائع اللبن القذر .. والا أبلغت مفتش التموين فيلقى القبض عليك .

جميل : مفتش التموين الذى يتقاضى مبالغ طائلة من كل مصانع الألبان فى المدينة ! تبلغه عنى ؟ بل أبلغ عنه هو البوليس ؟ وهل تظن أنى أعطى مليما لشحاذ حقير مثلك ؟

عاقى : (يلقى أمامه بالقرشين اللذين أخذهما من لحظات) خذ يا جميل .. اننى أريد زجاجة من لبن الحمير الممتاز . أنا شحاذ وأنت تبيع لبن الحمير . فكلانا يعمل لحسابه الخاص . يحيا لبن الحمير وتحيا الاعمال الحرة . ان بابل لم تصبح عظيمة الا لأن مواطنيها رضعوا لبن الحمير !

جميل : (سعيدا) خذ زجاجتين .. وخمسة قروش أيضا ! ان رجلا من بابل مثلك قادر على أن يجعلنى أخوض معركة ضد الدولة وهى تعاون شركات ألبان الأبقار . ان لبن الحمير هو أحسن غذاء لأهل بابل .. شعارى دائما هو : لبن الحمير شراب خطير .. انه أفضل بكثير جدا من : ألبان الأبقار علامة الانتصار .. (يخرج من ناحية اليسار) .

الملك : أنت بارع جدا ! يبدو أننى لم أبلغ اللياقة البدنية والفنية بعد !

عاقى : وهذه فرصة أخرى نادرة لاختبار قدرتك على الشحاذة .

هذه هى الغانية طمطم . ومعها خادمتها . وهما فى طريقهما لشراء بعض الخضراوات من السوق . وهى تجربة رشيقة وفنية أيضا .

(الغانية طمطم تجىء من الخلف تتبعها خادمتها تحمل سلة على رأسها) .

الملك : (فى استجداء) حسنة ياسيدتى المحترمة . حسنة يا ملكة الفضيلة . حسنة لشحاذ مسكين شريف لم يذق طعاما منذ ثلاثة أيام .

طمطم : خذ خمسة قروش . وصل من أجلى لعل الآلهة تبعث لى بعدد من العشاق الأغنياء (ويلتقط الخمسة قروش) .

عاقى : ها ! ها !

طمطم : ما الذى يضحكك أيها الشىء التافه ؟

عاقى : اننى أضحك أيتها الحسناء ، لأنك أعطيت هذا المسكين من نينوى خمسة قروش فقط . انه شحاذ بلا خبرة ، وهو يستحق عشرة قروش لكى يصلى من أجلك بحرارة وصدق .

طمطم : وهذه خمسة قروش أخرى !

(الغانية تعطى الملك خمسة قروش أخرى) .

طمطم : (لعاقى) ومن أنت ؟

عاقى : اننى شحاذ نظيف مدرب .

طمطم : وهل تصلى أنت أيضا من أجلى ؟

عاقى : لا أصلى الا نادرا . ولكن من أجل سيدتى الجميلة سأخرج على هذه القاعدة .

طمطم . وهل تستجيب السماء لدعائك ؟

عاقى : دائما ياسيدتى الحسناء دائما ! فانا عندما أصلى لآلهة الحب ، تهز أعمدة سريرها الأربعة من حرارة دعائى وبكائى . وسيكون لك عشاق أثرياء ، أكثر من عشاق بابل ونينوى .

طمطم : سأعطيك عشرة قروش أيضا .

عاقى : بل تكفينى ابتسامة واحدة من شفتيك القرمزيتين . هذا يكفينى .

طمطم : (فى دهشة) لا تريد مالا ؟

عاقى : لا تغضبى منى ياسيدتى الجميلة . أنا أمد يدى للملوك وأصحاب الملايين وسيدات الطبقة الراقية ، ولا أقبل الا عملة ذهبية .. ابتسامة واحدة من شفتيك الجميلتين ، اغلى عندى من الذهب !

طمطم : (سعيدة) وكم تدفع سيدات الطبقة الراقية ؟

عاقى : قطعتين من الذهب .

طمطم : سأعطيك ثلاث قطع !

عاقى : فى هذه الحالة تكونين من سيدات الطبقة الراقية يا سيدتى الحسناء .

(وتعطيه ثلاث قطع ذهبية) .

حتى زوجة رئيس الوزراء لم تعطنى أكثر من هذا .

(وفى مؤخرة المسرح نرى رئيس الوزراء وهو يستمع الى كلام عاقى باهتمام) .

طمطم : زوجة رئيس الوزراء تلك المتعالية .. فى المرة القادمة سأعطيك اربع قطع !

(وتمضى هى وخادمتها . ويختفى رئيس الوزراء فى غضب) .

عاقى : ما رأيك ؟

الملك : (يهرش فى رأسه) أعترف لك بأنك كسبت هذه الجولة !

الملك : (لكوروبى) هذا الشحاذ عاقى رجل موهوب . يبدو ان الكرة الأرضية مسلية أكثر من اى كوكب آخر ، او على الأقل بالنسبة لى ، بعد أن مررت بكل هذه الشموس ..

الملك : اننى لا أزال أتدرب .

عاقى : هذا أفضل لك . سيجىء بعد لحظات نجيب مدير بنك نجيب وأولاده وهو أغنى من الملك عشر مرات على الأقل .

الملك : (وهو يتنهد) انهم رأسماليون عتاة !

(ويتقدم من جهة اليمين اثنان من العبيد يحملان نجيب على محفة)

الملك : اعطنى ثلاثين قطعة ذهبية أيها المليونير . ثلاثين قطعة أرجوك .

نجيب : من أى البلاد أيها الشحاذ ؟

الملك : من نينوى .. اننى أتعامل مع الطبقات الراقية فقط . ولم أقبل فى حياتى أقل من ثلاثين قطعة ذهبية .

نجيب : ان أغنيـاء نينوى لا يعرفون كيف ينفقون أموالهم . انهم مسرفون فى الأمور التـافهة . ومقترون فى الأمور العظيمة ولأنك أجنبى سأعطيك قطعة ذهبية واحدة !

(ويشير الى أحد الخادمين فيعطيه قطعة ذهبية)

نجيب : (الى عاقى) وانت أيضا من نينوى ؟

عاقى : بل شحاذ من بابل .

نجيب : وما دمت من بابل فخذ خمسة قروش .

عاقى : اننى لا آخذ أكثر من مليم واحد . لقد أصبحت شحاذا لأننى أحتقر الذهب !

نجيب : أنت تحتقر الذهب يا أيها الشحاذ ؟

عاقى : لا شىء فى الدنيا يستحق الاحتقار أكثر من هذا المعدن الحقير .

نجيب : سأعطيك قطعة ذهبية مثل هذا الشحاذ القادم من نينوى .

عاقى : لا أريد سوى مليم واحد .

نجيب : سأعطيك عشر قطع ذهبية .

عاقى : أبدا .

نجيب : عشرون قطعة ذهبية .

عاقى : ابعد عنى يا عبقرى المال .

نجيب : ثلاثون قطعة (عاقى يبصق على الأرض) أنت ترفض ثلاثين قطعة ذهبية من مدير أكبر بنك فى بابل !

عاقى : ان أعظم شحاذ فى بابل يطلب مليما واحدا من بنك نجيب وأولاده ..

نجيب : ما اسمك ؟

عاقى : عاقى .

نجيب : مثل هذه الشخصية تستحق المكافأة . أيها الخادم اعطه ٣٠٠ قطعة ذهبية .

(ويعطيه الخادم جوالا مليئا بالذهب، ويتحرك الموكب ناحية اليسار)

عاقى : ما رأيك ؟

الملك : لا أعرف . يبدو أننى اليوم سيىء الحظ (يحدث نفسه) سأجعل هذا الشحاذ وزيرا لماليتى .

الملك : (يحدث كوروبى) سيكون من نصيبك هذا الشحاذ من نينوى يا صغيرتى .

كوروبى : انا سعيدة .. اننى أحبه . انه مسكين .

(ومن ناحية اليسار يجىء شاب طويل شعر الرأس واللحية، يتقدم ناحية عاقى ويعطيه قرصا صغيرا من الطين ويأخذ قطعة ذهبية ويمضى فى طريقه)

الملك : (حائرا) ومن يكون هذا ؟

عاقى : انه شاعر من بابل .. لقد أعطوه نيشانا .

(ثم يلقى بالنيشان على أرض المسرح . ومن ناحية اليمين يجىء ثلاثة جنود يجرون الملك تمرود وقد ارتدى ملابس الملك تماما كما كان الملك فى بداية هذا الفصل)

الملك : (وكأنه تنبه فجأة) ربما كانت عقليتى قد تبلدت أمام هذا النوع المبتذل من التسول . فعندنا فى نينوى لا احد يكون فى غاية اللياقة .. والآن قد جاء بعض الجنود يجرون امامهم أحد المعتقلين الذى أدت اعماله الشريرة الى حافة الهاوية ، وقد أجمع المؤرخون على ذلك . ومن ينجح فى أن يحصل منه على مليم واحد ، يفز فى هذه المباراة !

عاقى : (يفرك يديه) موافق .

الجندى الأول : هذا الرجل الذى نجره أمامكم هو النمـــرود الذى كان ملكا للعالم كله .

نمرود : انظروا أيها الشحاذون كيف وضع جنودى هذه القيود فى يدى ، وكيف يسيل دمى على ظهرى من شدة الضرب بالسياط. لقد تركت العرش خاليا ليجلس عليه أحد الثوار .. عرشى، أين عرشى ؟ . اننى الآن على الأرض ولكنى سأعود الى عرشى. ان هناك ملكا آخر على العرش الآن . ولكن سينزل عن العرش يوما من الأيام .

الملك : لن يجىء هذا اليوم .

نمرود : لقد حدث ذلك باستمرار منــــذ الوف السنين .. أنا عطشان ..

(كوروبى تأتى له بالماء من نهر الفرات وتقدمه لنمرود)

نمرود : ان ماء الفرات القذر ليصبح حلو المذاق من يديك .. بل هو أجمل من نبيذ ملوك بابل .

كوروبى : (فى خجل) هل تريد مزيدا من الماء ؟

نمرود : لقد بللت ريقى وهذا يكفى . خذى هذا السيف على سبيل الشكر يا ابنة الشحاذ . واذا حاول هـــؤلاء الجنود أن يعتدوا عليك فاضربيهم .

كوروبى : (وقد جمدت) ولماذا ؟

نمرود : لا يستطيع ملك أن يعطيك شيئا أثمن من هذا يا ابنتى . ففى هذا العالم لا شىء أفضل من أن يعرف الانسان كيف يتعامل مع الأوغاد !

الجندى الأول : اقفل فم الملك السابق !

كوروبى : (تبكى) هل سمعت ما يقوله يا أيها الملاك ؟

الملاك : لا تخافى مما قاله يا ابنتى ، فعندما ترين أول شـــــعاع من نجم مجهول ، يلمس نهر الفرات ، يجب أن تدركى أن هذا العالم قد خلق على أكمل صورة . لحظة قبل أن تشرق الشمس وسط ضباب رقيق .

الجندى الأول : تعال . اسحب الملك السابق ..

الملك : اسمع يا ..

الجندى الأول : ماذا تريد ؟

الملك : تعال هنا .. تعال هنا .. أنت وهو ..

الجنديان : ماذا تريد ؟

الملك : انحنوا أمامى . عندى ما اقوله لكم .

الملك : هل تعرفان من انا ؟

الجنديان : هه !

الملك : أنا القائد الأعلى .. أنا الملك !

الجنديان : ها ! ها ! ها !

الملك : افعلا ما آمركما به .. وأنا سأصدر أمري بترقيتكما الى رتبة الضباط .

الجندي الأول : (بخبث) وما أوامر سموك ؟

الملك : أعطياني الملك السابق .

الجندي الأول : أمرك يا صاحب السمو !

(يضربان الملك بمقابض السيوف حتى يسقط على الارض .. ويقفز قائد الجيوش وفي يده السيف ، ولكن يسحبه رئيس الوزراء) .

الجندي الأول : أحمق !

كوروبي : ما هذا ؟

الملاك : اهدئي يا ابنتي . انه حادث صغير لكي يبقى التناسق والانسجام الموجود في الكون .

عاقي : ولماذا تضربون هذا الشحاذ الطيب من نينوى ؟

الجندي الأول : ادعى أنه الملك !

عاقي : هل أمك على قيد الحياة ؟

الجندي الأول : نعم .

عاقي : وأبوك ؟

الجندي الأول : لا .

عاقي : هل أنت متزوج ؟

الجندي الأول : لا .

عاقي : خطبت فتاة ؟

الجندي الأول : فسخت الخطبة .

عاقي : اذن أمك فقط هي التي سوف تبكي عليك !

عاقي : ما اسمك ؟

الجندي الأول : انني أعمل جنديا في جيش الملك .

عاقي : قريبا جدا سيسقط رأسك على الرمال وستجيء النسور تأكل لحمك ، وستتشاجر الكلاب على عظامك .

الجنديان : ماذا تعني ؟

عاقي : لينحن كل منكما أمامي . هذه فرصة لن تعوض قبل زمن طويل .

الجنديان : (ينحنيان لعاقي) وبعد ؟

عاقي : هل تعرفان من الذي ضربتماه الآن ؟

الجندي الأول : أنت أيضا تريد أن تسخر منا !

عاقي : انت لم تسمع عن عادات الملوك .. انهم يرتدون ملابس الشحاذين ويجلسون على شاطئ الفرات ليعرفوا كيف يعيش الشعب .

الجنديان : لم نسمع .

الجنديان : لم نسمع .

عاقي : كل بابل تعرف ذلك .

الجندي الأول : لست من بابل .

الجندي الثاني : ولا أنا .

الجندى الثالث : وأنا أيضا .

عاقى : سيموتون جميعا فى بابل !

الجندى الأول : ما أسوأ حظى .

الجندى الثانى : ما أسوأ حظه .

الجندى الثالث : يظهر أن كلامه صحيح .

عاقى : انه مشهور جـدا بأحكامه القاســـية التى تجرده من الانسانية . لقد ألقى بأحد المحافظين الى الأفاعى .

الجنود : وهل تعرفه ؟

عاقى : الملك .. انه أعز أصدقائى . فأنا أيضا رئيس الوزراء وقد ارتديت هذه الملابس التنكرية لأدرس حال الشعب .

وهنا يبدو رئيس الوزراء كأنه يريد أن يندفع ولكن قائد الجيوش يمسكه من ملابسه ويمنعه) .

الجنود : (فى وقفة انتباه) صاحب السعادة ؟

عاقى : (فى تعال واضح) هل تريدون شيئا ؟

الجندى الأول : (بارتياح) لقد تنهد .

الجندى الثانى : وزمجر .

الجندى الثالث : انه يتحرك .

عاقى : ان جلالته سوف يتحرك ..

الجنود : (فى حالة يأس) يا رئيس الوزراء ساعدنا .. انقذنا ، صاحب الجلالة .

عاقى : ماذا طلب منكم صاحب الجلالة ؟

الجنود : أمرنا بأن نسلمه الملك السابق .

عاقى : هذا قرار ! لقد ضربتم صاحب الجلالة السابق .

الجندى الأول : (فى استسلام) اليك صاحب الجلالة السابق يا صاحب السعادة انه مقيد ومسدود الفم ، حتى لا يضايقك بثرثرته ...

(ويلقى بالملك السابق عند قدمى عاقى)

عاقى : اهربوا .. فصاحب الجلالة بدأ يعود الى وعيه .

(يهرب الجنود وينهض الملك) انظر الى هذا الملك السابق الشجاع الذى تسولته لنفسى !

الملاك : (بمتعة) لقد فزت بمسابقة الشحاذة يا عاقى .

كوكوبى : الارض مكان ممتـــع يا ملاك . الآن سأكون من نصيب الشحاذ الذى أحبه .

الملك : (فى ياس) هؤلاء الجنود متوحشـــــون . كيف تخلصت منهم ؟

عاقى : بسيطة جدا قلت لهم انك ملك بابل .

الملك : ولكنى قلت لهم ذلك .

الملك : هذه غلطتك . لا حد يصدقك اذا قلت ذلك بنفسك . ولكنهم يصدقون ذلك اذا قلت لهم ان انسانا آخر هو الملك ، كمـا فعلت أنا .

الملك : (فى امتعاض) لقد غلبتهم .

عاقى : أنت شحاذ ردىء ، يا شحاذ نينوى . أنت تعمل باخلاص ، ولكنك لا تصل الى شىء .

الملك : (مرهقا) ان هذه المهنة التعيسة هى حيلة مرهقة .

عاقى : ما أقل ما تعرفه عن الشحاذين . اننا مدرسون سريون للشعب ، اننا معلموه ومربوه .. اننا نرتدى الملابس الممزقة ، كدليل على تعاسة الانسان ، ونحن لا نخضع لأى قانون .. اننا أحرار .. ونأكل فى جشع الذئاب ، ونشرب كالسكارى لكى نعرض على الناس كيف يكون الجوع والعطش عند الفقراء وننام تحت الجسور مع كنوز الملوك السابقين ، لنؤكد للناس أن نهايتهم هى التسول والنوم تحت الآثار الغابرة .. والآن عد الى بلدك ، وحاول أن تتسول أحسن وبحكمة وأنت أيها الشحاذ من آخر الدنيا — عد الى بلدك واشحذ على طريقتكم هناك .

(وعادت الغانية طمطم ومعها الخادمة من ناحية اليمين) .

طمطم : (الى عاقى) خذ أربع قطع ذهبية .

(وتعطيه القطع الاربع) .

عاقى : ان عطفك قد بلغ أقصى مداه أيتها الجميلة الشابة .. سأخبر زوجة رئيس الوزراء بذلك .

طمطم : (فى غيرة) هل أنت ذاهب اليها ؟

عاقى : دعتنى الى العشاء .

(ينهض رئيس الوزراء فى المؤخرة وفى غاية الغيظ) .

طمطم : وماذا تأكل هناك عادة !

عاقى : الطعام الذى تأكله عادة على مائدة رئيس الوزراء — سمك مشوى .. وجبنة بيضاء .. وبصل .

طمطم : عندى سمك من نهر دجلة .

طمطم : وعليه صلصة وزبدة .

عاقى : وزبدة .

طمطم : وكتاكيت مشوية مع الأرز وزجاجة خمر من لبنان .

عاقى : هذه مأدبة تليق بشحاذ .

طمطم : فى استطاعتك أن تجىء اذا شئت .

عاقى : سأجىء معك . اعطنى ذراعك أيتها الحسناء . ولتحتفظ زوجة رئيس الوزراء بطعامها المتواضع .

(ويخرج مع طمطم من ناحية اليسار ومعهما الخادم وقد سحب النمرود معه . بينما رئيس الوزراء يلوح بيديه فى ثورة ثم يختفى)

الملاك : (وقد وقف) بعد أن اختفى هذا الرجل فى استطاعتى أن أكشف عن شخصيتى .

(وينزع ملابس الشحاذين ويخلع لحيته أيضا . ووقف كملاك مشرق مضىء . ويركع الملك ويخفى وجهه) .

الملك : وجهك يسحرنى ، والنار المنعكسة من ثوبك تكاد تحرقنى وجناحاك يهزان جسمى بالرعشة والفزع .

الملاك : اننى ملاك من عند الله .

الملك : ولماذا جئت لى أيها الملاك ؟ ما الذى تستطيع أن تفعله بشحاذ

من نينوى ؟ اذهب يا رسول السماء الى الملك ! انه وحده الذى يليق بشرف استقبالك .

الملاك : ان الملوك ، أيها الشحاذ ، لا يهموننى بل على العكس من ذلك أنت أجمل فى عينى السماء .

الملك : (مندهشا) كيف أيها الملاك ؟

الملاك : (بعد لحظة صمت) عندى فكرة (يفكر ثانية) انها شيء غريب جدا . (معتذرا) ولكنى لا أفهم فى الحياة الانسانية اننى أحد علماء الفلك ، اننى متخصص فى دراسة الشمس والنجوم وخصوصا الشموس الكبرى . ولكن مهمتى هى أن أبحث عن أكثر الناس فقرا . وليست لدى وسيلة لمعرفة حكمة السماء فى ذلك (وكأنه عرف شيئا فجأة) ربما كان السبب هو شيء من هذا : كلما كان الانسان فقيرا ، كان دليلا على تكامل الطبيعة .

(وفى المؤخرة يقف كبير الكهنة رافعا أصبعه كالتلميذ الذى يريد أن يجيب عن سؤال) .

الملك : وهل تعتقد أننى أفقر انسان ؟

الملاك : بكل تأكيد .

الملك : أفقر انسان ؟

الملاك : أفقر الفقراء .

الملك : وما الذى أتيت به من أجلى ؟

الملاك : شيء فريد .. شيء لا يصدقه العقل . انها هبة من الله .

الملك : وأين هذه الهبة ؟

الملاك : كوردبى .

كوردبى : نعم يا ملاك !

الملاك : تعالى هنا . تعالى هنا يا من خلقك الله بيديه . قفى أمام أفقر بنى الانسان ، أمام هذا الشحاذ .

(وتقف أمام الملك ويكشف الملاك عن وجهها . ويصرخ الملك ويغطى وجهه ويفزع كبير الكهنة ويختفى) .

الملاك : (فى سعادة) هذه هى هدية الله . أليست شيئا رائعا ، أليست هدية نادرة ، يا أيها الشحاذ من نينوى .

الملك : جمالها ، يا مبعوث السماء ، يفوق روعتك . انك ظل فى جلالها وأنا لست الا ظلاما فى بريق عينيها .

الملاك : فتاة جميلة . فتاة طيبة . خلقها الله هذه الليلة ، خلقها من العدم .

الملك : (بائسا) انها ليست لى ، أنا الشحاذ من نينوى . انها ليست لهذا الكائن المتهدم . اذهب أيها الملاك ، اننى لا أستحقها اذهب الى الملك .. اذهب واعطه هبة السماء .

الملاك : انها مسألة مفروغ منها . انها لك !

الملك : (متوسلا) الملك وحده هو الجدير بها .. بهذا الجمال والجلال .. سيلبسها الحرير .. وسيضع عند قدميها أغلى الابسطة .. وسيضع على رأسها تاجا من ذهب !

الملاك : لن تكون له !

الملك : (بمرارة) اذن فلا بد أن تعطى هذا المخلوق المقدس لأحط الشحاذين ؟

الملاك : السماء وحدها تعرف الحكمة وراء هذا كله . خذها . انها فتاة طيبة . فتاة أحسنت السماء تربيتها .

الملك : (فى يأس تام) وما الذى يستطيع شحاذ أن يفعله بها ؟

الملاك : لست انسانا مثلك . انني لا أعرف . وكيف لى أن اعرف عادات البشر ؟ (ويفكر) اسمعى !

كوروبى : نعم يا ملاكى !

الملاك : هل لاحظت هذا النجاح الباهر الذى أحرزه الشحاذ عاقى ؟

كوروبى : لاحظت كل شيء أيها الملاك .

الملاك : اعملى مثله . أنت من نصيب هذا الشحاذ . ولا بد ان تساعديه ليكون شحاذا ناجحا مثل عاقى . (للملك) ستساعدك أيها الشحاذ .

الملك : (وقد صدم) ولكنها اذا ذهبت الى الملك فستحكم العالم ولكن اذا جاءت معى فسوف تكون شحاذة .

الملاك : يجب أن تعلم أن حكم العالم من شأن السماء . والشحاذة من شأن البشر . فامض فى عملك برفق وأدب . لا أكثر ولا أقل . فاذا استطعتما أن تتسولا وتحتفظا بمركز الطبقة المتوسطة ، فهذا يكفى . مع السلامة .

كوروبى : (فى فزع) ستتركنى وحدى أيها الملاك .

الملاك : يجب أن أعود يا ابنتى . لقد جئت بك الى البشرية ، والآن يجب أن أطير عائدا .

كوروبى : ولكنى لا أعرفهم بعد .

الملاك : وهل اعرفهم أنا يا ابنتى . ان مهمتى فقط ان اترك البشرية ومهمتك أن تبقى معهم . ويجب أن يؤدى كل منا مهمته . مع السلامة يا ابنتى . مع السلامة يا عزيزتى ..

كوروبى : انتظر ايها الملاك .. أرجوك ..

الملاك : (ناشرا جناحيه) مستحيل . ثم ان لدى اعمالا أخرى يجب ان أستقصى أنباء هذه الارض ، يجب ن أطير بسرعة لكى اتمكن من قياس الكواكب الأخرى وجمع المعلومات عنها وكشف عجائب الكون . فأنا حتى الآن يا ابنتى ، لم أعرف الا الجانب المادى من العالم .

كوروبى : ارجوك أن تبقى معى أيها الملاك .. أرجوك !

الملاك : يجب ان اطير .. يجب أن أطير فى ضوء الصباح الفضى وان أصعد برفق فى مجالات سماء بابل . يجب أن أختفى فى سحابة بيضاء تذوب فى ضياء السماء .

(ويطير الملاك وقد وضع ملابس ولحية الشحاذ على ذراعه فى عناية واضحة)

كوروبى : (برفق) أرجوك .. ارجوك .

الملاك : مع السلامة يا ابنتى .. مع السلامة .

(ويختفى تماما) .

(وتبقى كوروبى ومعها الملك وقد تركا وحدهما فى مواجهة كل منهما للآخر فى ضياء الصباح) .

كوروبى : (برقة) لقد اختفى .

الملك : لقد سافر فى كل جلاله ومجده .

كوروبى : وأنا الآن معك ..

الملك : أنت معى .

كوروبى : اننى أكاد أتجمد من البرودة .

الملك : جففى دموعك .

كوروبى : وهل البشر لا يبكون عندما يودعهم أحد ملائكة السماء؟

الملك : طبعا يبكون .

كوروبى : (بعد أن فحصت وجهه) ولكنى لا أرى أثرا للدموع فى عينيك .

الملك : لقد نسينا كيف نبكى وتعلمنا كيف تتصبب عرقا . (كوروبى تبتعد عنه) لماذا أنت خائفة ؟

كوروبى : كل جسمى يرتعد .

الملك : لا تخافى من الناس . لا تخافى الا من الله . لقد خلقنا جميعا على صورته . وكل شىء من صنعه .

كوروبى : الخير هو ما اختاره الله . لقد كنت آمنة فى يديه ، ووقفت بالقرب من وجهه ..

الملك : والآن قد ألقى هديته الجميلة فى حجرى . فى حجر أحقر الناس وأتفه مخلوقاته جميعا . أنا الشحاذ من نينوى . وأنت نزلت من النجوم لتقفى أمامى . عيناك ووجهك ، وجسمك كلها تعلن عن جمال السماء ، ولكن ما جدوى هذا الجمال الكامل أمام أفقر الناس فى هذه الأرض الملعونة ؟ متى تعلم السماء أن تعطى لكل انسان ما يستحقه ؟ ان الأقوياء متخمون ، ولكنهم يقفون وحدهم ، والشحاذ يتضور

من الجوع ، فيجب أن تعطيه السماء خبزا . والملك جائع الى انسان ، ولذلك يجب أن تعطيه السماء انسانا . ولماذا لا تفهم السماء هذه الوحدة الأليمة التى يعيشها الملك ؟ ولماذا تبعث بك السماء لتكونى سخرية منى كشحاذ وكملك ؟

كوروبى : (وهى تفكر) ان مهمتى فى غاية الصعوبة .

الملك : وما هى مهمتك ؟

كوروبى : ان أهتم بك وأن أتسول بدلا منك .

الملك : هل تحبيننى ؟

كوروبى : انت يجب أن تحبنى الى الأبد ، وأنا خلقنى الله من العدم لكى أحبك الى الأبد !

الملك : ان المرض قد أصاب جسمى بتشويهات كثيرة .

كوروبى : احبك .

الملك : بسبب حبك هذا سيمزق الناس أنفسهم عند قدميك .

كوروبى : احبك .

الملك : سيرمونك فى الصحراء وستكون نهايتك هناك تحت الشمس الملتهبة فوق الرمال المحرقة !

كوروبى : احبك .

الملك : اذن قبلينى ، اذا كنت تحبيننى .

كوروبى : سأقبلك .

الملك : (يضرب كوروبى ويلقى بها الى الأرض عندما تنتهى من تقبيله ويضع قدمه فوقها) . وسألقى بك على الأرض ،

وأنت ألتى احبك أكثر مما أحب اى انسان ، وأدوسك
بقدمى ، يا هبة السماء ، يا من تعتمد عليك كل سعادتى
.. هكذا أرد قبلاتك . وهكذا أرد على الحب بالضرب .
وسترى السماء كيف يعامل الشحاذ هبة السماء وكيف
ان أحقر الناس يسىء الى التى لو عرفها ملك بابل لأحاطها
بالحب وأغرقها بالذهب ..

عاقى : (فى دهشة) ماذا تفعل ؟ هـــل تضرب الفتاة بقدمك
يا شحاذ نينوى ؟

الملك : (باحتقار) انني أدوس هبة السماء بقدمى . انها هبة
جديدة وجميلة كما ترى خلقت ليلة أمس ، خلقتها السماء
لتكون من نصيب أفقر الناس ، وتسلمتها شخصيا من يد
أحد الملائكة هل تريدها ؟

عاقى : خلقت فقط ليلة امس ؟

الملك : خلقت من العدم .

عاقى : أذن فهى هدية تافهة .

الملك : ولذلك فأنا أبادلك .. اعطنى الأسير وخذها .

عاقى : لا مانع ، على كل انه ملك سابق .

الملك : وسألقى هذه القطعة الذهبية التى نجحت فى تسولها من
الناس .

عاقى : وقيمته التاريخية ؟

الملك : العشرة قروش التى كسبتها !

عاقى : ليست صفقة رابحة !

الملك : أرجو أن تنهى هذه الصفقة .

عاقى : فقط لانك شحاذ عاجز . خذه (ويلقى اليه بالملك السابق

تحت قدميه) وأنت يا ابنتى الصغيرة ، أنت من نصيبى .
(تنهض ببطء وقد حنت رأسها) مفروض أن ملاكا
انهضى أتى بك الى هنا . اننى احب القصص الخـرافية ،
ند وساصدق مالايصدقه احد وساعتمد عليك ، فكلانا خلق من
العدم . ان هذا الرجل الذى جاء من وراء حدود المبنان
بحيرنى ، انت لن تعرفى عالمنا هذا ، ولكنى أعرفه ، ولذلك
لاتزعجى نفسك . لقد ضربت انت مرة واحدة ، اما أنا فقد
ضربت الوف المرات . تعالى . وسنذهب معا الى السوق ،
ان اليوم يوم السوق . انه يوم عام ملىء بالبدع وسترين
ماالذى نستطيع ان نتسوله . انت بجمـالك وانا بلحيتى
الطويلة ، أنت مليئة بالجروح بسـبب الضرب ، وأنا الذى
حكم على الملاك بالموت .

كوروبى : (فى رقة) ولكنى سأظل أحبك يا شحاذ نينوى . (عاقى
يخرج من اليمين تاركا كوروبى . والملك يقف وحـــده مع
النمرود مشدودا بالسلاسل ، معصوب الفم . ويخلع ملابس
الشحاذ ولحيته ويدوسه بقدميه . ويقف غارقا فى التفكير ،
كئيبا بلا حراك وهنا تزحف الحاشية ورئيس الوزراء)

رئيس الوزراء : (مضطربا) يا صاحب الجلالة !

الملك : يوقف تنفيذ الحكم بالاعدام على الشحاذ عاقى . فاذا أراد
ان يكون موظفا ، فافتح له مكاتب الدولة ، والا ، فسأبعث
له بجلادى وانت ياقائد الجيوش ستقود قواتى الى ما وراء
حدود لبنان . اغز هذه المناطق الغربية . وسنعود نحن
ومعنا الملك الأسير الى قصرنا لنواصل العمـل من أجل
الانسانية المعذبة المكدودة التى لعنتها السماء .

(ســـتار)

الفصل الثـــانى

تجرى احداث الفصل الثانى بالقرب من جسر على نهر الفرات فى قلب مدينة بابل . والسماء مغطاة بناطحات السحاب والقصور . ومن بعيد نســمع صوت حركة المرور فى المدينة الكبيرة . وكذلك نسمع صوت الترامواىات وصوت العمـــال والشيالين .

وعلى يمين ويسار الجسر توجد سلالم صغيرة .

اما مسكن عاقى فهو مجموعة من مخلفات كل شىء تكدست هنا وهناك .. مثل التوابيت والتماثيل والأوثان وعروش قديمة واجزاء من السيارات والدراجات وكاوتش السيارات .. الخ ، وكلها مغطاة بالطين والقاذورات ..

وتوجد شعارات مكتوبة على الحائط : اليوم هو آخر فرصة لك ..

الأرض مغطاة بالرمل الأحمر . وفى كل مكان توجد لوحات مكتوب عليها شعر .. وعلى اليسار يوجد اثنان من مجرمى بابل هما عمر ويوســـف وكلاهما قد تمدد فوق أحد التوابيت .. وعاقى وكوروبى يتقدمان من الجانب الأيسر وقد وضع عاقى جوالا على ظهره .

عاقى : ابعدوا عنى أيتها النفايات البشرية ، لا اريد أن تناموا
في هذا المكان ..
اغتسلوا بعيدا عنى فى هذا المجرى القذر .. أيتها الغربان
(يهرب عمر ويوسف)
.. ابعدوا .. لقد اقيم هذا الجسر تخليدا لذكرى احد
ابطالنا ويجب الا نستخدمه للاستشفاء . ان ابطال بابل
هم قتلة ممتازون للشعوب التى غزوناها ، اما الأطباء
فليسوا كذلك !
(ويختفى عمر ويوسف)

كورويى : من هذان الرجلان الهاربان ؟

عاقى : مشوهون ، أناس بلا امل ، ان الانسان لا يكاد يدير ظهره
حتى تقفز هذه الحثالة البشرية فى مكانه ..

كورويى : ان الارض مختلفة جدا عن فكرة الملاك عنها .. فى كل
خطوة أخطوها اجد الكثير من الظلم والمرض واليأس . ان
الانسان ليس سعيدا .

عاقى : الشيء المهم جدا هو أن يكونوا زبائن لنا . اليوم قد شحذنا
جيدا وسوف نستريح بعض الوقت ، ثم نستأنف الشحاذة
فى الحديقة التى يسمونها حديقة الأعدم .

(ويضع الجوال على الأرض)

كورويى : تحت امرك يا حبيبى عاقى .

عاقى : لد تقدمت فى الشحاذة . انني سعيد بك ولكن هناك عيبا
واحدا : أنت تبتسمين عندما يعطونك الفلوس . هذه غلطة

اساسية ، فالوجه الحزين له اثر اعمق فى النفوس — انه
يؤثر فى الناس أكثر .

كورويى : سأتذكر هذا دائما .

عاقى : غدا حاولى ان تتمرنى على ذلك . ان اليأس هو وحده
الذى يجعل الوجه كئيبا ويجعل الربح وفيرا (ويخرج
الأشياء التى فى الجـــوال : أحجــــار كريمة وقطع من
الذهب وقروش وملاليم) .. اننى لا أريدها جميعا (ويلقى
بها فى النهر) .

كورويى : انت الآن تلقى بكل ما عندنا فى النهر .

عاقى : هل يضايقك هذا ؟

كورويى : لا .. لا معنى للشحاذة اذا كان كل ما نحصل عليه نلقيه
فى النهر .

عاقى : هذه هى الطريقة الوحيدة لكى يرتفع مستوانا فى الشحاذة
.. الاسراف مهم جدا ، لقد مددت يدى للملايين والقيت
بالملايين فى الوحل وهذه هى الطريقة الوحيدة لكى أخلص
العالم من الثروات والأثرياء (ويفتش فى جيوبه) زيتون ؟!
ان الزيتون أنفع من أى شىء آخر . الموز وعلب السردين
والخمر .. وآلهة الحب المنقوشة على العاج (يختبر تمثال
هذه الآلهة) ولكن يجب الا ترى هذا التمثال . فأنت
ماتزالين فتاة صغيرة .
(ويعيد تمثال آلهة الحب الى الجوال)

كورويى : تحت امرك يا عاقى .

عاقى : تحت أمرك يا عاقى .. طول النهار وطول الليل .. لابد
أن شيئا يضايقك !

كوروبى : انى أحب شحاذ نينوى .

عاقى : مع أنك نسيت اسمه !

كوروبى : لا أعرف اسمه .. ولكن لن أنساه ابدا . يوما ما ، لا بد أن أعثر عليه . طول النهار ، فى شوارع بابل ، وعلى سلالم جسورها ، أفكر فيه .. وعندما اتطلع الى النجوم فى الليل ، أبحث عن وجهه .. اننى أحس به قريبا منى .. الى جانبى .. ثم هو يستلقى على الأرض وينظر الى .. وينظر الى السماء التى نزلت منها ..

عاقى : انه حب بلا أمل .

كوروبى : بل الحب هو الأمل الوحيد . كيف أعيش على هذه الأرض دون هيام بهذا الحبيب ؟

عاقى : بما أن الانسان لا يستطيع أن يعيش على هذه الارض ، فقد قررت أن أعيش على هامشها . ولهذا قررت أن أكون شحاذا . نحن الآن بالقرب من أجمل جسر فى بابل ، ولن أسمح بتشويه هذا المكان الجميل عن وجهه فى كل ينبوع ضوء . ثم أحس بالحديث عن شحاذ فاضل . شحاذ لم يكسب الا قطعة ذهبية وعشرة قروش !

(وينهض) ما هذه المعلقات ؟ آه .. انهـا قصائد لابد أن الشعراء مروا من هنا ..

كوروبى : (سعيدة) هل أستطيع أن أقرأ هذه القصائد .

عاقى : فى مثل هذه المرحلة من انحلال الادب والفن فى بابل ، لا أنصح بقراءة الشعر (ينزع ورقة وينظر اليها ، ثم يلقى بها فى النهر) شعر غرامى لا شىء الا نظم الشعر فى الحب

منذ انت معى فى هذا المكان . اصنعى لنا حساء ، هذا أفضل . وهذه لحوم طازجة قد تسولناها .

كوروبى : امرك يا عاقى !

عاقى : اما انا فساستريح بعض الوقت فى أحد هذه التوابيت ..

(وعندما فتح التابوت قفز الى الخلف ، فقد كان يتمدد فيه احد الشعراء — فى غضب) ماذا تفعل هنا ؟

الشاعر : أنظم قصيدة .

عاقى : ليس هذا مكانا لنظم الشعر . انه مكان لعشيقتى الساحرة ليلى . وأكثر من هـذا فقد رأتنى هنا أيام الطوفان . وقد حملنى هذا التابوت فى رشاقة عبر البحار الهائجة اخرج من هنا — اذهب الى مكان آخر وانظم فيه قصائد .. خذى بعض البصل .

(ويلقى لكوروبى ببعض البصل . ويتمدد فى التابوت . ويمضى الشاعر بعيدا . وكوروبى تنشغل باعداد الطعام . ويتقدم رجل بوليس ، ويهبط سـلالم الجسر فى جهـة اليسار ، يهرش فى رأسه)

رجل البوليس : يوم حار أيها الشحاذ عاقى .. يوم مرهق جدا..

عاقى : أهلا وسهلا . وكان بودى أن انهض لتحيتك فأنا احمل لرجال البوليس احتراما بالغا . ولكن يجب أن أريح ظهرى بعض الشىء فعندما ذهبت الى قسم البوليس فى المرة الأخيرة أحرقتنى بالنار فى ظهرى .

رجل البوليس : انما كنت أفعل ذلك لصالحك .. ثم اننى كنت أنفذ الأوامر الخاصة بتأهيل الشحاذين والحاقهم بالوظائف الحكومية .

عاقى : عظيم .. هل أستطيع أن اقدم لك تابوتا يليق بمقامك ؟

رجل البوليس : أفضل أن أجلس على هذه الحجرة . (ويجلس) ان هذه التوابيت تملأ نفسى بالحزن .

عاقى : هذا عرش آخر ملوك الكهوف . لقد حصلت عليه من أرملته . هل لك فى لميل من النبيذ (ويخرج زجاجة من ملابسه ويقدمها لرجل البوليس) .

رجل البوليس : (يشرب) شكرا جزيلا انى مرهق جدا . وعملى يقتضينى أن أعمل طول النهار . فأنا مكلف بجمع كل الكتب المدرسية واعتقال كل أساتذة الجغرافيا والفلك .

عاقى : وماذا فعلوا ؟

رجل البوليس : يظهر أن العالم أكبر بكثير مما يعرفون . انهم لا يعلمون أن هناك قرى أخرى وراء حدود لبنان . فالعلم ، ككل شىء آخر فى بلادنا ، يجب ألا يخطىء .

عاقى : بداية النهاية .

رجل البوليس : يظهر أن العالم أكبر بكثير مما يعرفون . انهم لا يعلمون أن هناك قرى أخرى وراء حدود لبنـــان . فالعلم ، ككل شىء آخر فى بلادنا ، يجب ألا يخطىء .

عاقى : بداية النهاية .

رجل البوليس : والجيش فى طريقه الى غزو هذه المناطق فيمـا وراء لبنان .

عاقى : لقد سمعتهم يتحركون طول الليل فوق هذا الجسر . انى أشم رائحة المأساة .

رجل البوليس : أنا كرجل رسمى على أن أطيع فقط ، لا أن أفكر !

عاقى : كلمـا كانت الدولة منحلة ، احتـــاجت الى مزيد من الرسميين المغفلين !

رجل البوليس : هـــذا ما تقوله الآن ، لأنك لست موظفـا فى الدولة . ولكن عندما تصبح موظفا سيزداد اعجابك بهذه الدولة الباهرة .

عاقى : فهمت . ولهذا جئت أنت . فأنت حريص على تهيئتى للوظيفة الحكومية .

رجل البوليس : أنا لا أضيع هذه الفرصة .

عاقى : لاحظت ذلك عندما كنت فى القسم .

رجل البوليس : اننى هنا فى مهمة رسمية .

عاقى : هذا ما ادركته الآن .

(ويخرج رجل البوليس دفترا من جيبه)

رجل البوليس : اليوم هو آخر يوم لك .

عاقى : صحيح ؟

رجل البوليس : كنت تتسول فى الميدان الكبير .

عاقى : كنت مارا فقط .

رجل البوليس : عندى أخبار لك !

عاقى : آلة تعذيب جديدة ؟

رجل البوليس : بل قرار جديد . فاعترافا من الدولة بمقدرتك
الفائقة فقد صـــدر قرار بتعيينك رئيسا لمجلس ادارة
الافلاس . وزارة الخزانة قد وضعت عينها عليك . وهناك
شائعات تقول ان مستقبلا عظيما ينتظرك .

عاقى : مثل هذه الوظائف لا تبهرنى ..

رجل البوليس : هل معنى هذا انك ترفض هذا المنصب العام ؟

عاقى : اننى مصر على أن ابقى فنانا حرا .

رجل البوليس : معنى ذلك أنك مصر على الشحاذة !

عاقى : انها مهنتى !

(عاقى ينهض واقفا)

رجل البوليس : انت غلطان .. غلطان ..

عاقى : الآن تستطيع أن تقتادنى مرة اخرى الى قسم البوليس.

رجل البوليس : لا داعى . سيجىء الجلاد نفسه الى هنا .

(صمت وبحركة لا شعورية يضع عاقى يديه حول عنقه.
ثم يشرع فى تفحص رجل البوليس)

عاقى : ذلك الجلاد البدين ؟

رجل البوليس : لا .. ان جلاد هـــذه المنطقة طويل .. انه
أستاذ فى فن الشنق . انها متعة هائلة ان تنظر اليه وهو
يقوم بمهمته . انه بارع الى أقصى درجة .

عاقى : تقصد ذلك الرجل النباتى المشهور ؟

رجل البوليس : (يهز رأسه) لا تؤاخـذنى .. فانت لا تزال

حدث العهد بالشنق . لقـد اختلط عليك الأمر فالذى
تتحدث عنه هو جلاد نينوى . اما جلادنا فهو من اكثـر
الناس اطلاعا على الكتب القديمة .

عاقى : (وقد استراح) طبعا هناك فارق كبير .

رجل البوليس : انه فى الطريق الينا .

عاقى : يسعدنى ان أعرفه .

رجل البوليس : انه رجل جاد . انه قادم اليك فى مهمته التى
تعرفها . اننى أحذرك أيها الشحاذ عاقى .. سيشنقك
اذا لم يجدك فى الصباح الباكر فى مكتبك فى الوزارة .

عاقى : أنا تحت أمره .

كوروبى : (خائفة) هل سيقتلونك ؟

عاقى : لا داعى للخوف يا صغيرتى . لقد هددونى طول عمرى،
لدرجة أننى لم أعد أهتم كثيرا بهذه التهديدات .
(وتنفتح كل التوابيت ويقفز منهـــا الشعراء ومن تحت
كل شىء)

شاعر : هذه فكرة قصيدة جديدة .

شاعر آخر : قصيدة قوية .

شاعر ثالث : تحفة فنية .

شاعر رابع : امامنا موضوع رائع .

الجميع : حدثنا أيها الشحاذ .. حدثنا .

عاقى : سأسمعك فلسفة حياتى : عندما كنت صغيرا منذ الوف

السنين ولم تكن عندى أية خبرة كان أبى تاجرا . وكان أبى يرتدى ملابس مجـلاة بالذهب . وكانت أمى تزين ملابسهـا بالمجوهرات وكان بيتنا مليئـا بالسجاجيد الفاخرة . وفى بابل عندما ابتلعت شركة نجيب وأولاده كل شىء ، تضور أبى جوعا وأعدم ، وبعده أمى ولم يبق لنا شىء .

الشعراء : لم يبق شىء .

عاقى : ثم جاء نبى من بعيد .. وتبنانى وكنت أتمدد طول الليل أمام المذبح وأصلى للآلهة وكانت ملابسى ممزقة ، وكان الرماد يملأ شعر رأسى .. وحدث فى بابل تغيير وتبديل بين رجال الدين وأعدم هذا النبى وآلهته أيضـا . ولم يبق شىء .

الشعراء : لم يبق شىء .

عاقى : وكما أن الغنى ينتهى بالافلاس ، والمؤمن ينتهى بالموت، والرجل القوى ينهار ، فان ابن أمى كان يقول : الانسـان يجب أن يكون كالرمال ، فالرمال لا تظهر عليها آثار أقدام الأشرار والجلادين على الأرض . وفى كل بابل لم يبق الا شحاذ واحد قد تنزع لحيته وقـد تتمزق ملابسـه ، وسينجو من كل شىء .

شاعر : ثم غرامك مع الأميرة ..

شاعر آخر : وكيف مددت لها يدك فأعطتك خزانة الدولة كلها.

شاعر ثالث : وحكاية ياجوج وماجوج .

عاقى : كلهـا ليست ذات قيمة .. عندى ضيوف يا كوروبى امضى فى الطهى ..

رجل البوليس : (فى دهشة عندما يختفى الشعراء) ان مسـكنك ملىء بالشعراء .

عاقى : صحيح . ولكنى فوجئت بهم . ولذلك يجب أن اطهـر هذا المكان منهم .

(ينهض رجل البوليس . وقد اتخذ موقفا جادا)

رجل البوليس : أما تزال مصرا على ان يشنقوك ؟

عاقى : بكل تأكيد .

رجل البوليس : قرار مؤلم . ولكن يستحق الاحترام .

عاقى : (مضطربا) ماذا جرى لك ؟ .. لقد اتخذت موقفـا رسميا ..

رجل البوليس : يا سيدى النبيل لابد أنك مشغول جدا بمـا سوف يحدث لكوروبى بعد موتك . انا شخصيا شـديد القلق عليها .. ان كل انسان فى بابل شديد القلق عليها .. ان كل انسان فى بابل شديد القلق على مصيرها . انهم جميعا يحسـدونك عليها . وهم جميعـا يشعرون بالأسى للفقر الذى تعيش فيه كوروبى وهم يفكرون بشتى الوسـائل لانقاذ هـذه الفتاة منك . وانت الآن قد قضـيت على خمسة حتى الآن .

عاقى : ستة من فضلك . هل نسـيت ذلك الجنرال الذى ألقيت به فى النهر ؟

رجل البوليس : (ينحنى له) يا سيدى النبيل ، ان الفتاة فى حاجة الى حماية ، كل بابل تتحدث عنها . كل النـاس يفدون من كل المدن ، لا شىء الا ليبدوا اعجابهم بهـا .

كل المدينة غارقة فى حبها . ان التاوهات والأغـانى تملا كل بيت ، كل ميدان ، حتى حديقة الاعدام ، والجنـدول فى الفرات وثلاثة من النبلاء قد انتحروا فى النهر من اجلها. حتى رجال البنوك بدأوا ينظمون الشعر ، والموظفون يؤلفون الموسيقى .

(وفى أعلى السلالم يبدو المليونير نجيب ومعه قيثـارة قديمة)

نجيب : كنت فيما مضى مجنونا بالفلوس أما اليوم فلا شىء أجمل من الجلوس ، والنظر الى محبوبتى كوروبى .

رجل البوليس : ماذا قلت لك ؟

نجيب : لم يعد يهمنى شىء .. لا ثور ولا أدب ولا شىء الا الحب .. الا قلب كوروبى .

عاقى : (مندهشا) مليونير يغنى ؟!

(وفى أعلى السلالم الى اليسار يظهر « على » ومعـه قيثارة)

على : كنت أبيع النبيذ ، واليوم أنا شاعر أحب ابنة الشحاذ .. ما أجملها وأروعها ! ليكن قلبى لك ..

رجل البوليس : شاعر آخر !

عاقى : على !! تاجر النبيذ ايضا !

نجيب : يا على انت تنظم قصائدك من نفس البحر .

كل الشعراء : من نفس البحر .. من نفس البحر ..

(ويختفى الشعراء)

عاقى : نفس الحكاية .. اذا نظم الشاعر قصيدة ظهر من يتهمه بالاقتباس .

(ونجاة يخرج رجل البوليس قصيدة من ملابسه)

رجل البوليس : كنت مخلصا طول عمرى وكنت قاسيا على الناس أما الآن فقلبى يوجعنى ، يعذبنى .. يشغلنى عن العمل وعن الاخلاص وعن القسوة ..

عاقى : حتى انت ؟ هل نسيت أن مهمتك هى طرد الشعراء من هذا المكان .. لا أن نضيف اليهم شاعرا جديدا ؟

(ويطوى رجل البوليس الورقة فى اضطراب واضح)

رجل البوليس : سامحنى .. لقد فوجئت برغبتى فى نظم الشعر .. وامس عندما طلع البدر فوق نهر الفرات ، عاليا رائعا ، وجدتنى أنظم الشعر . (وينحنى) ايها الشحاذ العزيز .. اننى صديقك ، اننى املك بيتا فى شارع لبنان وسيجىء دورى فى الترقية فى العام القادم .

(ويعود العاملان من ناحية اليسار)

العامل الأول : هذا هو الشحاذ عاقى الذى يحرص على شرف الطبقة العاملة .

العامل الثانى : طبعا . فى تابوت .

العامل الأول : فى وضح النهار ، انه يتسول فى كل مكان .. انه العامل الأول فى بابل .

العامل الثانى : والفتاة فى ملابسها البالية .

العامل الأول : عـــار .

العامل الثانى : انه يلقى بالذهب الى النهر .

العامل الأول : الشعراء وحدهم القادرون على أن يحصلوا على أى شىء منه وتستطيع ذلك لو حاولنا نظم الشعر . حتى لو حاولنا فلن تحصل على شىء !

(ويخرج كل واحد منهما ورقة مكتوب عليها شعر ويحـاول القاء الشعر بصوت مرتفع . وينهض عاقى من تابوته فى حالة غيظ)

عاقى : كفى ! كفى !

العام الأول : ومن أين لك هذه الفتاة الجميلة ؟

عاقى : لقد حصلت عليها من شحاذ آخر لم ينجح فى أن يحصل منكما على مليم واحد .

العامل الثانى : ذلك الأحمق !

العامل الأول : ومن أين أتى بها ؟

عاقى : انها قصة خرافية .. لقد أتى بها أحد الملائكة ، هبط بها من السماء .

(ويظهر الشعراء)

الشعراء : ملاك ؟

عاقى : بالضبط .

الشعراء : مادة شعرية رائعة .

عاقى : اننى أمنع بقوة أى شاعر أن ينظم قصيدة واحدة عنها .

(ويختفى الشعراء)

العامل الأول : هل من المفروض أن تصدق هذا ؟

نجيب : جاءت من السماء ؟! هذا مستحيل من الناحية العلمية .

(ضحك)

العامل الثانى : تخريف . لم ار احـــدا من الملائكة . انهم من اختراع رجال الدين .

نجيب : اعتقد أنها مخطوفة .

على : البوليس عليه أن يتحرى الحقيقة !

العامل الثانى : ليس لدى البوليس سبب واحد لأن يلقى أى شك على وجود الملائكة . بل على العكس ، انهم الملحدون الذين يجب أن يوضعوا موضع الشك !

(الغانية طمطم تهبط السلالم من ناحية اليمين)

طمطم : انها فضيحة ..

عاقى : اهلا بالسيدة الحسناء .

(الغانية تضع يدها على كوروبى وتتلمسها كأنها حصان)

طمطم : هل لها أسنان أجمل من أية فتاة أخرى ؟ هل لهـــا سيان أجمل من ساقى ؟ هل جسمها أرشق ؟ ان الفتيات مثلها بالألوف فى كل مكان .. وارخص !

كوروبى : ابعدى يديك عنى ، اننى لم اسبب لك اى ضرر ..

طمطم : أنت لم تصيبينى باى ضرر ؟ تتظاهرين بالبراءة وتريدين أن أبعد يدى عنك أيها الحمل الوديع ؟ بل سأضـــع يدى عليك .. ان كل بابل قد هجرتنى من أجلك ! وأنت هنا تتظاهرين بالبراءة ؟

كوروبى : اننى لم أكن سببا فى هجر الناس لك .. اننى احب شحاذ نينوى ولا احد سواه .

(تحاول طمطم ان تنشد كوروبى من شعرها ولكن كوروبى تهرب الى عاقى) .

العامل الأول : ابعدى عنها ايتها الفاجرة .

على : ما اقسى هذه الكلمة على أذن الفتاة الصغيرة !

نجيب : ان الفتاة لا تناسبها الا البيئة الهادئة المحترمة .

طمطم : البيئة الهادئة ؟ البيئة المحترمة ؟ لقد عشت طول عمرى فى بيئة هادئة ومحترمة مع أصحاب ملايين وتجار نبيذ .

عاقى : ما الذى ضايقك يا أجمل النساء ؟

طمطم : لقد تعذبت كثيرا لكى أبقى جميـلة وشابة . اننى أحرم نفسى من الطعام ولا أكف عن الاستحمام والتدليك . فماذا كانت النتيجة ؟ لم يكد هذا المخلوق يهبط الى بابل حتى انصرف البزائن الى نظم الشعر !

نجيب : (من أعلى ناحية اليمين) ان كوروبى تتهمنى باشـياء جميـلة .

على : (من أعلى ناحية الشمال) أنها تسحرنا .

العامل الأول : الآن فقط عرفنا شيئا من أجله نتعب ونشقى .

العامل الثانى : عشرة قروش فى الاسبوع ؟

رجال البوليس : لقد رفعت روحنا المعنوية ..

(نجيب وعلى والعاملان ورجل البوليس يقفون فى هدوء وببطء معا) .

حب .. فى كل قلب .. لهيب فى كل حب !

عاقى : لن احتمل أى شعر بعد اليوم .

(يجيء الشعراء وينضمون اليهم ويغنون معا) .

قلب .. فى كل نار .. فى كل نار نار !

طمطم : سحرتكم جميعا ؟ جميعا ؟ هل معقول أن أصدق هذا ؟ اذن فهذه الصغيرة لم تجيء من أجلى . نحن فى مهنتنا نعمل فى منتهى الاخلاص .

(من ناحية اليسار تجيء زوجتا العاملين ، يهرب الشعراء خوفا) .

الزوجة الأولى : هنا اجد زوجى . وفى هذا المكان ؟

العامل الأول : كنت مارا فقط .

الزوجة الثانية : وزوجى أيضا ؟

العامل الثانى : وما شأنك انت ؟ ..هل أخبر الناس عن غرامك بسكرتير النقابة ؟

(ويتجـه رجل البوليس الى كوروبى الخائفة والتى تتشبث بعاقى الجالس فوق تابوته) .

رجل البوليس : يا آنسة . أنا رجل بوليس . وعندى بيت فى شارع لبنان . ويجىء دورى فى الترقية فى أوائل العـام الجـديد . ونحن اسرة من الأزواج المخلصين . ونحن مشهورون بذلك . ستكونين سعيدة وانا حريص جـدا على أن أجعلك فى غاية السعادة .

العامل الأول : (يتقدم اليها) اسـمى حسان ومنتهى أملى أن أجعلك سـعيدة . أنا اعيش معظم الوقت فى الريف .

وسيكون لك بيت صغير نظيف . وستكونين فى اتم صحة . وستكون لك أبسط حياة ، واسعد حياة .

الزوجة الأولى : الرجل فقد عقله !

العامل الثانى : (يتقدم الى الأمام) انا اسمى سندباد .. من صميم البروليتاريا . وزوجتى العجوز ستعد لك أحسن غرفة . سأعلمك وسأفتح عينيك على مؤامرات الرأسماليين وسأعمل ليلا ونهارا بلا توقف من أجل الاستعداد للحرب الصليبية التى سيشنها العمال فى كل مكان .

الزوجة الثانية : الرجل فقد عقله هو ايضا .

(بائع لبن الحمير يظهر فجأة على المسرح من ناحية اليمين ويلقى بنفسه عند قدمى كوروبى) .

جميل : انا اسمى جميل . عندى شقة على نهر الفرات . وأعيش فى الدور السادس وعندى اسانسير وبيتى يطل على حديقة الاعدام وستشمين هواء الطبقة المتوسطة النقى وستشمينه فى سعادة .

النساء : أخرجوها من المدينة . اطردوها من هنا .

على : أنا اسمى على . صاحب شركة على للنبيذ .. عندى بيت وفيلا وعندى أهم شيء تحتاجين اليه . انت فى حاجة الى صخرة متينة . صخرة تستندين اليها . انا هذه الصخرة . اننى مؤمن بأننى سأكون قادرا على ..

الشعراء : (يظهرون من جديد) انها .. لنا .. اننا .. لها !

نجيب : يا آنسة انا نجيب مدير أكبر بنك فى العالم .. بنك نجيب وأولاده .. ولكن ليس هذا هو المهم ! قصورى

واسهمى وسنداتى والأراضى التى أملكها فى الريف ، كلها من الممكن أن تضيع منى وأن تفنى .. ولكن كل ماتحتاجين اليه هو القلب .. قلب يحبك .. قلب رجل يسعدك .. وفى صدرى أنا يدق هذا القلب !

النساء : اطردوها .. اخرجوها ..

الشعراء : (معا) انها .. ليا .. انها .. لنا !

(وعندما تبلغ الضوضاء اشدها يظهر الملاك فجأة ويداه مليئتان بالورود) .

الملاك : كوروبى .. كوروبى .. أبنتى !

الجميع : (فى خوف) انه ملاك !

(الجميع يسقطون على ارض خاشعين ساجدين ما عدا كوروبى !) .

كوروبى : أيها الملاك .. يا ملاكى !

الملاك : بالصدفة يا طفلتى العزيزة ، كنت طائرا بالقرب من الأرض ، فلمحتك وسط هذا الجو المرح .

كوروبى : انقذنى ايها الملاك .. ارجوك !

الملاك : الارض يا ابنتى ، ما اروع هذا الاكتشاف .. لقد اسعدنى هذا الاكتشاف .. ان جسمى كله يرتعش بالسعاة .. الكون ملىء بعجائب لا حد لها . اننى ازداد معرفة بالله يوما بعد يوم ، اننى أدرس وافهم وأجمع المعلومات واسجل ملاحظاتى عن كل شيء . ليلا ونهارا ، بلا توقف وبلا تعب ، أمضى فى بحوثى . ومع ذلك فلم اتعمق بعد فى مياه البحر ، ولا فى كل هذه الحياة التى تحيط بنا . اننى فقط أعرف

الاماكن المتوسطة والقطب الشمالى .. انظرى ماذا وجدت هنا ! قطرات ندى متجمدة . (يمسك قطعة من الجليد) وأنا كباحث فى طبيعة الشــــموس ، لم يصادفنى شيء ثمين كهذا من قبل .

كوروبى : ان شحاذ نينوى قد تخلى عنى أيها المـلاك ، اننى ما ازال أحبه أيها الملاك .

الملاك : انها مجرد لخبطة يا ابنتى .. لخبطة .. فالارض جميلة لدرجة انه لابد ان نتوقع فيها بعض الارتباك . فمن الذى يرى زرقة السماء ، وحمرة الرمال ، ولمعان الانهار ، ثم لا يصيبه شيء من الارتباك . ؟ شيء من اللخبطة يا ابنتى ؟ ان ينظر الانسان الى السماء بهذا التأمل ثم يدفعه التأمل الى الصلاة . انظرى الى هذه المعجزة (ويعرض عليهـا احدى الزهور) مثل هذه الاشياء لا توجد فى الشموس أو فى المجرة .

كوروبى : الرجل يتآمرون ضدى . لقد جلبت التعاســـة على هذه المدينة ، ان نهر الفرات يحمل الدموع الى البحر . سواء كان حبا أو كراهية هذا الذى أراه .. انه يقتلنى !

الملاك : سوف يتحسن كل شيء يا ابنتى العزيزة .. سيتحسن كل شيء .

كوروبى : لا تتركنى وحدى ، أيها المـــلاك . ابق معى ، ساعدنى بقوتك السماوية ، خذنى الى حبيبى .

الملاك : يجب أن استفيد من كل لحظة أمضيها هنا ، يجب ان أعمل كل ما هو ضرورى فقط . يجب أن أعود فورا الى المجرة .. يجب أن أزحف بين الشموس الجبارة الملتهبة .

يجب أن أدرس يا صـــغيرتى .. يجب أن أدرس . انى مشغول جدا بالاكتشافات الجديدة .. فوق القارات .. فوق البحار الزرقاء .. هناك .. طريقى الفضى .. فوق التلال ، فوق الحقول ، فوق الاشجار .

عالى : حتى هو بدأ ينظم الشعر ..

كوروبى : ابق معى أيها الملاك .. أرجوك .

الملاك : وداعا يا كوروبى .. وداعا يا طفلتى .. وداعا (ويختفى) (وتركع كوروبى وتخفى وجهها .. وينهضون جميعا ببطء وفى فزع)

الشعراء : (وقد أخرجوا رؤوسهم بحذر من التـوابيت) انه ملاك ! انه ملاك جميل (متلعثما) وفى وضح النهار !

رجل البوليس : (يمسح عرقه) وقد جلس بيننا فى هدوء تام ..

العامل الاول : (كانه يحلم) مبعوث من السماء .

الزوجة الاولى : (كأنها فى حلم) فى صحة وله ريش ملون .

العامل الثانى : لقد كان يرفرف حول رأسى كأنه خفاش ضخم .

نجيب : سأتبرع بجرس ضخم .. للكنيسة جرس نجيب .

على : سأجعل الكساء مجانا لكل رجال الدين .

النساء : سنعترف جميعا بكل خطايانا .

جميل : ساصبح مسيحيا .

رجل البوليس : يا اهل بابل . لقد جاءنا ملاك من السماء .. ان هذه اللحظة تاريخية يجب أن نفكر فيها ونتأمل . اننا نعيش فى ظروف قيقة جدا .

العامل الاول : سنخفض الاجور .

جميل : ويرتفع ثمن لبن البقر .

علي : وستصاب تجارة النبيذ بنكسة .

نجيب : والمحصول سيكون رديئا .

الزوجة الاولى : ستقع زلازل .

العامل الثاني : وجيوش من الجراد .

نجيب : والبورصة أسعارها غير مستقرة . وفي العام الماضي اجتاح الجدري العالم كله وفي العام الذي قبله كان لطاعون . فما معنى ذلك كله . معناه أن هذه لعنة أصابتنا لاننا لم نعد نؤمن بالسماء .. لاننا جميعا ملحدون . والآن قد كشف الله عن نفسه في شخص هذا الملاك . وكل شيء يتوقف الآن على ما سوف نفعله بهذه الفتاة التي أتى بها الملاك الى الأرض .

جميل : انها يجب الا تعيش في هذا الفقر بعد اليوم .

العامل الأول : يجب أن تأخذها بعيدا عن هذا الشحاذ .

العامل الثاني : وبعيدا عن هؤلاء الشعراء .

نجيب : يجب أن نكرمها وأن نخلع عليها كل ما تستحقه من شرف لنجعلها ملكة علينا . والا حلت بنا المصائب فنحن لا نستطيع أن نواجه لعنة السماء يوما بعد يوم ونحن لم نفلح في مقاومة الطوفان العظيم الا بعد أن بذلنا الكثير من الجهد ومنينا بالكثير من الخسائر ولم يبق أمامنا الا أن تصيبنا كارثة اقتصادية وفي هذه الحالة تنهار هذه البلاد .

الزوجة الأولى : الى الملك بهذه الفتاة التي هبطت من السماء .

الجميع : الى الملك .

العامل الأول : ستكون ملكة علينا .

الجميع : ملكتنا .

الشعراء : ابقى معنا . ابقى معنا يا كوروبي .

كوروبي : سأبقى مع الشحاذ عاقي . الى جوارك تحت هذا الجسر على شاطى الفرات قريبة من قلبك .

(تثور الجماهير ويبدو عليها طابع العدوان)

اصوات مختلفة : اقذفوا الشحاذ في النهر .

(وتوشك الجماهير أن تمسك بخناق عاقي ولكن رجل البوليس يوقفهم ملوحا بذراعيه في غضب)

رجل البوليس : أيها الشحاذ أنت تعرف شعوري .. أنت تعرف انني أملك بيتا في شارع لبنان وأنت تعرف أن مركزي متين وقادر على اسعاد كوروبي وفي حدود ما أستطيع ومن واجبي أن آخذ هذه الفتاة وأن أذهب بها الى الملك ومن واجبك ايضا أن تدعها تذهب معي .

(ويسمح قطرات العرق من وجهه)

الجماهير : يحيا البوليس .

كوروبي : انقذني يا عاقي .

عاقي : لا أستطيع أن أساعدك يا ابنتي العزيزة ، يجب أن يودع أحدنا الآخر . فلقد ارتدنا شوارع مدينة بابل خلال عشرة أيام في أسمالنا البالية لم نترك شارعا ولا حارة ولا ميدانا الا مررنا به . وفي الليل كنت تنامين وتتنفسين في هدوء بي أكثر التوابيت دفئا . والشعراء من حولك يحومون ولم يحدث أنني تسولت بمثل هذه العبقرية . اما الآن فيجب أن ننفصل

فليست لك حقوق عندى فأنت جئت لنا تحية من السماء .
وقد كسبتك فى رهان وتعلقت بى كخيط من خيوط السماء
وظللت معى سعيدة بلا شكوى الى أن هبت رياح أخرى لتحملك
بعيدا عنى .

كوروبى : يجب أن أطيعك يا عاقى . لقد آويتنى وأطعمتنى من جوع وسقيتنى من عطش وعندما كنت أخاف كنت تنشد أغانيك الجميلة وعندما شعرت باليأس كنت تصفق بيديك وتضرب الأرض بقدميك فى ايقاع يجعلنى أرقص حولك . ثم انك لففتنى فى ملابسك عندما شعرت بالبرد وعندما كنت أشعر بالتعب كنت تحملنى على ذراعيك القويتين تحت شمس الغروب الملتهبة .. اننى أحبك كما لو كنت أبى وسأفكر فيك كما أفكر فى أبى ولن أقاومهم اذا أخذونى معهم (وتحنى رأسها).

عاقى : الى الملك يا ابنتى .. الى الملك ..

الشعراء : بل ابقى معنا يا كوروبى .

الجماهير : الى الملك .. الى الملك ..

العجوز : السلام عليكم أيها الشحاذ عاقى .

عاقى : ماذا تريد ؟

العجوز : ماذا حدث لهذه الفتاة؟ لقد رأيتها من الجسر وهم يسحبونها بعيدا عنك .

عاقى : لقد كان فى استطاعتى أن أجعل منها أحسن شحاذة فى العالم ولكنهم سحبوها لكى يجعلوها ملكة .

العجوز : سيكون زواجها قريبا .

عاقى : لكن الملك سينهار عند قدميها .

العجوز : اننى لا أحب أن أرى الزواج . وعندما يفكر الانسان كيف أن هذا الملك قد داسها بقدميه فانه يفزع مما سوف يحدث لها بعد ذلك .

عاقى : داسها بقدميه !

العجوز : نعم على شاطىء الفرات .

عاقى : على شاطىء الفرات ؟

العجوز : فى ذلك اليوم .

عاقى : (وقد قفز من مكانه) هل تقصد أن الشحاذ القادم من نينوى كان الملك ؟

العجوز : نعم فقد رأيته بنفسى وقد تنكر فى زى شحاذ .

عاقى : ولماذا ؟

العجوز : ليقنعك بالاشتغال فى الحكومة . ثم جاء الملاك وأعطاه هذه الفتاة . انها لحظة تاريخية .

عاقى :(وقد أصابه الفزع) لقد كانت لحظة تعيسة وقد كان من الممكن (ويأخذون الفتاة معهم متجهين ناحية اليمين)

كوروبى : وداعا يا عاقى وداعا يا شعرائى .

الجماهير : (عن بعد) وداعا أيتها الملكة كوروبى .

(ويجلس عاقى حزينا يقلب فى وعاء الحساء)

عاقى : اننى لاأعترض على شىء من شكاواكم الموسيقية أيها الشعراء. انكم تتغنون بأننى آكل طعاما حقيرا كالفئران ، مع أنكم تأكلون هذا الطعام معى فى مرح وسعادة . إن يأسكم لا يقنعنى .

ان فن الطبـــخ المستنير هو الشيء الوحيد الذى أتقنته أيها الشعراء .

(ويهبط الدرج من ناحية اليسار رجل عجوز طويل . انه نحيف يرتدى الملابس الرسمية الســـوداء وفى يده حقيبة صغيرة)

أن تكون نهايتها ســـيئة ولـكن الحظ حالفنى فى تلك المرة (متشككا) ومن أنت ؟

العجوز : الجلاد .

(ويختفى الشعراء)

عاقى : أنا سعيد بلقائك (ويصافحه) .

الجلاد : كيف حالك ؟

عاقى : أنت ترتدى الملابس الرسمية .

الجلاد : غير مسموح لى بشنق الشحاذين وأنا بملابسى الرسمية .. الا أنها أوامر مشددة .

عاقى : هل أقدم لك بعضا من الحساء ؟

الجلاد : أهذا مقلب ؟ اننى لا أستحقه .

عاقى : (فى براءة) مقلب ؟

الجلاد : اننى أعرفك لقد هربت من ثلاثة من الجلادين الواحد بعد الآخر .

عاقى : لم يعجبونى فقد كانت مراكزهم صغيرة وأنا لا أسمح لنفسى بأن أشنق الا على يدى جـلاد الملك . يجب أن جكون أحسن

الجلادين فأنا عندى كبرياء وامعانا فى الحفـاوة بك أقدم لك هذا الحساء .

الجلاد : أعتقد أن شرب الحســاء شيء عظيم فمرتبى لا يسمح لى الا بوجبات هزيلة فأنا لا أعرف الحساء واللحم الا نادرا .

عاقى : أنا أجلس على هذا العرش عرش أقدم شحاذ فى المدينة .

الجلاد : (يجلس فى حذر) أليست هذه خدعة أيضا ؟

عاقى : طبعا لا .

الجلاد : اننى رجل شريف نزيه لا يمـكن افسادى لا بالرشوة ولا بالذهب ولا بالملذات الجسدية . كل هذا ينساب أمامى وبين يدى كما ينساب الماء فوق ريش البط . وعندما كنت شابا وكان لا بد أن أشـــنق قبيلة كاملة قدمت لى أفرادها قطعان الحمير والأغنام ولكن بلاجدوى شنقتهم جميعا وكانوا بالألوف.

عاقى : أصدقك .

الجلاد : هل تحاول معى ؟

عاقى : لا أحاول .

الجلاد : ارجوك أن تحاول فليس أجمل عندى من أن يختبرنى الناس حاول أن تختبرنى !

عاقى : .فرض اننى قدمت لك زوجة شابة جميلة .

الجلاد : مرفوضة .

عاقى : ظريفة لطيفة وردية الخدين .

الجلاد : اننى كالصخرة لا اهتز .

عاقى : أريد أن أهمس فى أذنك بأن ثروتى كلها قد أخفيتها فى نهر الفرات .

الجلاد : ثروتك لا تهمنى (باعتزاز) انهم يسموننى الرجل النزيه .

عاقى : لهذا أقدم لك قليـــلا من الحساء (وينقر بأصابعه على الاناء فيظهر الشعراء) .

الشعراء : هذه النغمة : هذا اللحن السماوى . (وكل منهم يحضر معه اناء ليأخذ نصيبه من الشوربة) .

عاقى : انهم الشعراء يا أنزه الجلادين .

الجلاد : اننى سعيد بلقائكم وفى غاية السعادة .

(ويتبادل الشعراء والجلاد الانحناء ، ومن جهة اليمين يظهر عمر ويوسف وفى يد كل منهما اناء)

عاقى : عمر النشال ويوسف المهرب ؟

الجلاد : أعرفهما وسأشنقهما فى الاسبوع القادم .

(ويدخل من جهة اليمين بعض المرضى)

المرضى : جائعون .. جائعون ..

عاقى : تعالوا أيها الفرسان هذا نصيبكم .

(ويلقى لهم بقطعة من اللحم ويختفون وبعد أن يفرغ عاقى من توزيع الحساء يبـــدءون جميعا فى الشرب وقد أخرج الجلاد منديلا أحمر ووضعه على صدره حتى لا يتساقط عليه الحساء)

الجلاد : لذيذ جدا هذا الحساء ، انها مأدبة فاخرة .

عاقى : أعجبتك ؟. يبدو أنك راض عنها .

الجلاد : تمام الرضى . الحســاء لذيذ واللحم لذيذ . انهـــا مأدبة فاخرة . ورغم ذلك سأشنقك .

(ويعطيه عاقى مزيدا من الحساء)

عاقى : هل لك فى مزيد من اللحم ؟

الجلاد : أنت تخدعنى لا شك فى هذا .

عاقى : وهذه زجاجة من أحسن الخمور المصرية .

(ويصب لهم جميعا قليلا من النبيذ المصرى)

الجلاد : اننى فى شدة الشوق لهـــذا النبيذ . اننى أكاد أموت من العطش . ان هذه المأدبة تشبه مآدب باخوس .. لنحتفل بذكرى المرة المائة على تحريم مهنة الشحاذة والمرة العاشرة لمحاولتهم أن يشنقوك . اننى دقيق فى مسألة التواريخ وأحتفظ بمذكرات خاصة .. ان الامبراطوريات تذهب وغيرها تجىء . أما الانسان فهو يتغير فقط . يغير وظيفته .. يغير ملابسه .. علاقاته الطبقية .. عاداته كل الناس تتغير الا أنت . فمهما يحدث وأيا كان الناس الين يتهمونك فستظل شحاذا كما أنت . فى صحتك .

(ويشربون جميعا فى صـــحته) انك باق كأنك رئيس وزارة ومن حولك ألوف المصـــالح الحكومية . فى صحتك . وأنا والملك ورئيس الوزارة نحن الثلاثة نحـكم العـــالم .. فى صحتى .. وأنا أيضا لا أتغير لا أتبدل لا أهاجر وانمـا أظل جلادا للجميع . ان البيروقراطية والشحاذة والاعدام هذه هى الاسس الثلاثة التى يقوم عليها العالم التى يقـــوم وينهار فى نطاقها كل شىء !

عاقى : اشرب ما تبقى فى الزجاجة ·

الجلاد : ما تبقى ؟ انهـا فكرة حزينة · والشىء الغريب هو أنه من المفروض أننى فى مهمة رسمية الآن ! وسـوف يصبح العالم مكانا تافها عندما أشنقك · لقـد انتهى كل شىء · الحساء شربناه ، واللحم أكلناه والشراب ابتلعناه · وهنـاك على أحد أعمدة النور هذه سوف يتعلق جثمانك ليطل على هذه الحديقة!

عاقى : ان ماأطمع فيه بالفعل هو أن تشنقنى فى أحد الاعمدة المواجهة لقصر الملك ·

الجلاد : فكرة نبيلة ولكنها صعبة· فأعمدة النور المواجهة لقصر الملك محجوزة للوزراء وأسهل شىء أن أعلقك فى سور هذا الجسر·· ان مساعدى واقف هناك الآن · خليفة ! يا خليفة !

صوت من أعلى : نعم · اننى قادم !

(ويتدلى حبل من أعلى · ويرتجف الشعراء وعمر ويوسف ويختفون جميعا)

الجلاد : تسمح لى من فضلك ·

(ويعتلى عاقى ذلك العرش القديم)

هل لك أية رغبة أخيرة ؟

(ويلف الحبل حول عنق عاقى بعد أن يمرر الصابونة عليه)

عاقى : ان كل ما أتركه هو هدية منى للشعراء ولـكن الذى يحيرنى هو ما الذى سوف تصنعونه بمكتبتى ·

(ويظهر الشعراء من جديد)

الجلاد : لديك مكتبة ؟

عاقى : لقد تسولتها فى الاسبوع الماضى · لقـد كنت فى الاسبوع الماضى فى أتم لياقتى التسولية · واستطعت بذكائى أن أحصل على مكتبة ضخمة !

الجلاد : ان اقصى ما أتمناه هو أن تكون لى مكتبة !

عاقى : لم أكن أتصور انك تهتم بالكتب ؟

الجلاد : منتهى أملى أن أقرأ وأدرس وأبحث·· أن أجلس والمخطوطات من حولى ·· وأن أقرأ الكتب القديمة ·· ان هذه أعظم نعمة لأى انسان !

عاقى : (يهز رأسه) شىء غريب · لقد كان الجـلادون السابقون لا يهتمون بالكتب !

الجلاد : ان حياتى مريرة قاسية ، حياة بلا مرح · يجب أن أعترف بهذا ·· انه لشىء فظيع أن أشنق الناس دائما ، دون أن تتاح لى فرصة واحدة لأذهب لأى مكان آخر ·· فيما عدا مرة كل شهر يستدعينى أحد الوزراء · أما أنت ففى نعيم · مجالسك كلها غناء وشعراء وحساء ·

عاقى : ان الجلادين الكبار هم الذين يأكلون افخر الطعام · أما صغار الجلادين فالجوع لهم حتى الموت · ما رأيك فى أن أبادلك ؟ أعطيك مكتبتى فى مقابل وظيفتك ؟

الجلاد : (مترددا) هل تريد أن تكون جلادا ؟

عاقى : هذه هى المهنة الوحيدة التى لم اتسولها من أحد !

الجلاد : كوب من المـاء أرجوك ·· بعض الماء ! ان أزمتى القلبية عاودتنى ·

عاقى : هل لك فى كاس من الويسكى ؟ انه افضل شىء للقلب !

(وينزل بعناية من العرش . ولا يزال الحبل ملفوفا حول عنقه ويقدم له زجاجة ويسكى)

الجلاد : ان راسى يدور ، اننى أكاد أدوخ . أين هـــو شرفى ؟ أين الشرف البابلى بعد ذلك ؟

عاقى : ولكن ما علاقة شرفك بالحياة تحت هذا الجسر ؟

الجلاد : أين شرفى ؟ اننى سأتخلى الآن عن عملى ، لرجـل كان من المفروض أن أشنقه . لقد جاء فى العقد الذى أبرمته وأنا شاب شديد الثقة بنفسه أن أتخلى عن مهمتى هذه عند أول فرصة تسنح لى لدراسة الفنون الجميلة على أن أكسب بعض المال.. هل أنت جاد فى أن تبادلنى ؟ هل أنت جاد فى أن تحمل عنى أحقر عبء فى هذه الحياة مقابل مكتبتك العامرة بالكتب ؟

عاقى : ان موقفى منعملك أيها الجلاد ، خاطىء من أساسه. فالوظيفة الحقيرة يجب أن يكون مرتبها عاليا جدا ، وبذلك يشعر الجلاد بأن هناك ما يبرر تمسكه بها .. أنا شخصيا كنت مليونيرا.

الجلاد : (فى دهشة) مليونير ؟

الشعراء : قل له قصتك يا شحاذ .. قل له قصتك يا شحاذ ..

عاقى : اذن سأروى لك قصة حياتى .. استمع الى فلسفة حياتى..

(يخرج رأسه من الحبل الملفوف حوله . ويظـل ممسكا بالحبل بيده اليمنى)

عندما كانت الزهور متفتحة ، وكان القمر بدرا ، وفى منتصف الليـل . مددت يدى الى ابنة مليونير ، ببراعة وفن ، وطلبت اليها أن تعطينى كل ما فى حقيبتها . فقد آليت على نفسى أن أدوس غرور أى غنى قبل أن أموت ولو مرة واحدة . وكسبت

الكثير جدا وأضعت الكثير جدا فى سن مبكرة وفى سن متأخرة وكانت عندى تحف . تماثيل من الرخام والعاج . وكانتعندى أبسطة ومرايا . كلها تخلصت منها . راهنت عليها وخسرتها ووجدت أمامى كل شىء . لقد أعطانى هذا الغنى كل ما عنده من أرض مزروعة وغابات وقصور وتماثيل وتحف ومرايا .. فاسمع ماذا فعلت . لقد تركت الغــابات والاراضى المزروعة دون أن امسسها حتى بارت . وأضعت أموالى على الخمور ، وطردت كل قطعان الاغنام والماشية من أرضى ، وتخلصت من اللوحات والتماثيل بأسرع ما أستطيع ، وتخلصت من الارض المزروعة وحظائر المـــاشية وكذلك السجاجيد الأنيقة راهنت عليها وتعمدت أن أخسرها وكل المرايا والاعمال الفنية بعتها. ومـع ذلك غمرتنى الديون . وأفلســـت . ولم يبق فى بيتى لـحم ولا شـــحم ، ولا زيت ولا دقيـق . وليس فى جيبى قرش واحد . ولم يعد لدى شىء أخسره . لأننى أضعت كل شىء . ولم أكتف بهـــذا بل أغرقـــت معى فى الديون والافـلاس خمسة آخرين من أصـــحاب الملايين .. ضاع كل ما لديهم من أسهم وسندات فى البنوك .. وهكذا يا أيها الجلاد العزيز تجـــدنى ، فى صراعى ضد ظلم الأغنياء وضد الطغيان الأقوياء ، قد طهرت هذه المهنة اللعينة من كل مافيها من شرور وهوان !

الشعراء : وابنة المليونير ماذا جرى لها ؟

عاقى : تزوجها وزير الخزانة !

(ويبعد الحبل عن عنقه . ويرتفع الحبل الى أعلى ثم يختفى) وبعد ذلك عندما تمددت فى التابوت ورحت افكر ليلا ونهارا فى مصير الانسانية ، وكيف انها غارقة فى الخطيئة وكيف ان أحقر النـــاس هو أكثرهم مالا ، قررت ان افعل شيئا ، قررت

أن أقوم بمغامرة أخرى فى حياتى ، قررت أن أتسـول وظيفة كبيرة فى الدولة ، وهى وظيفة قائد الجيوش • فأنا أعلم علم اليقين أن صاحب هذه الوظيفة لا يموت عادة فى أى حرب • وسلـكت كل الطرق التى تؤدى اليهـا : من تقبيل الايدى والتمسح فى الأقـدام • ومن الدس والوقيعة والتآمر والميوعة والطعن من الخلف وعندما حصلت على هذه الوظيفة سخرت كل مواهبى العسكرية فى تجريد جنودى من كل شعور بالرجولة والشهامة وعندما قابلت قوات العـدو ، كنت على رأس مائتى ألف جندى وكل ما فعلته هو أننى أعدت قوات العدو الى حيث كانت • وبذلك حققت ذلك الحلم الغـالى الذى لم يسـتطع العسكريون أن يحققوه وهو : خسارة معركة دون اراقة الدماء!

الجلاد : عمل عظيم ! ولـكن كيف فعلت ذلك ؟ ان الهزائم الكبرى معارك كبرى باهظة الثمن •

عاقى : لم أصدر أى أمر بالهجوم •

الجلاد : رائع ! رائع !

عاقى : ألا ترى أن بعض المهن الحقيرة من الممكن أن تؤدى الى مثل هذه الاعمـال الرائعة ؟ ألا ترى أن كل انسان فيه جوانب طيبة ، لا تظهر الا فى مثل هذه المناسبات الكبرى ؟

الجلاد : (بحـذر) وهل ترى أننى كبائع كتب أستطيع أن أتناول حساء اللحم ؟ وأن تكون لى مأدبة فاخرة كهذه؟ ولو مرة واحدة كل شهر ؟ لو صح هذا لكنت فى منتهى السعادة •

عاقى : ستشرب حساء اللحم ثلاث مرات فى الاسـبوع ، واوزة كل يوم أحد •

الجلاد : لقد تغير الحظ تماما • تغير بصورة هائلة !

عاقى : اعطنى ملابسك أيها الجلاد !

الجلاد : فى هـذه الحقيبة • كان من المفروض أن يجىء بعدك فى الشنق كل علماء الجغرافيا والفلك •

عاقى : الشنق معناه اطلاق سراح الناس •

الجلاد : لن تجد هؤلاء الشعراء بعد اليوم • سنشنقهم جميعا •

عاقى : على العكس فسـوف أستمتع بالصمت والهدوء فى الكهوف الملكية •

(ويرتدى رداء الجلاد)

شاعر : (فى فزع) لا نريد هذه الملابس •

شاعر آخر : عار عليك !

شاعر ثالث : لا تكن جادا ••

شاعر رابع : نريدك مادة للشعراء !

عاقى : سيبقى من حظكم العـاثر ، يا شعراء بابل ، ألا تستشعروا لحظة الخطر ، انكم لا تدركون مقدما ذلك الرعب الذى سوف يستولى علينا • ان كوروبى جاءت تبحث عن شحاذ فتعثرت فى ملك ، وكل يوم يزداد عدد المسجونين وجيوشنا اتجهت الى الشمال ، والدولة تريد العصمة من الخطأ وليس أمام الدولة الا ان تعتقلنا جميعا • هل لى أن أروى لكم قصة حياتى مرة أخرى ، وخلاصة تجاربى فى هذه الدنيا ؟ هل تحبون أن أروى لكم قصة الضعف والسلاح ؟

صوت : انها أكثر قصصك اثارة •

الشعراء : .. اروها يا عاقى قبل آن تختفى .. قبل أن تتلاشى .
اروها .

عاقى : لكى يبقى هذا العالم ، يجب أن يعرف الضعفاء أى طريق يسلكون . فالأقوياء أقوياء ولا حقيقة لهم . يجب أن نتعلم نحن الضعفاء هذه القاعدة . ان مواجهة القوة بالقوة عمل أحمق .. استمع اذن الى الحكمة من شحاذ مثلى ، شحاذ ممزق ذليل ، مطارد فى كل مكان ، معذب من كل انسان .. فى هذا العالم ياسيدى يستطيع الرجل القوى آن يستولى على بيتك ، على زوجتك ، وأن يفعل بك ما يشاء .. ولكن فقط الشىء الذى ينجو من قبضته هو الشىء الذى يحتقره . والذكى هو الذى يتعلم هذه الحكمة : الذى يحتقرنى هو الذى يعطينى فرصة لأن أعيش على حريتى .. وحتى أكثر الناس ذكاء لا يستطيع أن يواجه القوى بلا سلاح . ولكن الانسان الذى ليس شيئا والذى لا يملك شيئا هو وحده الذى يمكن أن يعيش دون أن يصاب بضرر . والنتيجة هى : اذا أردت أن تعيش طويلا فتظاهر بالغباء . هاجم من الداخل . ادخل السجون قبل أن تبدأ المحاكمات .. امض فى طريقك حانى الرأس ، مغمض العينين كعبد ، كشاعر ، كمحصل للضرائب . كلما كنت مخطئا انخفضت أمامك الجدران العالية . لا تشتم أحدا . امش فى رقة ، وادفن مؤقتا كل أمل وكل حب وكل أسف وكل محنة ادفنها جميعا وواجه الناس فى ملابس رجل جلاد !

(ويضع القناع الاسود على وجهه ويقف وقد ارتدى ملابس الجلاد الحمراء) .

(ستار)

الفصل الثالث

(ليس من الضرورى البقاء طويلا فى قاعة العرش ، التى هى الفصل الثالث ، انها فخمة ، وفيها مظاهر القسوة والوحشية . وتوجد بها أسلحة دامية تدل على وحشية الامبراطور ، أو الأباطرة جميعا . وتوجد ستارة ضخمة تقسم المسرح الى مقدمة ومؤخرة . وهنا وهناك توجد تماثيل ضخمة تشرف على المكان ، والعرش على اليسار مرتفع عن المسرح بعدة سلالم . وعلى العرش يجلس الملك . ومربوطا فى كرسى العرش الملك السابق نمرود . وعلى اليسار باب فى داخل الستارة الكبيرة . وهذا الباب يؤدى الى مؤخرة المسرح . وتوجد أبواب فى الجدران على اليمين وعلى اليسار . وفى المقدمة وعلى اليمين يوجد مقعدان) .

نمرود : لماذا تجلس هكذا ليلا ونهارا فى هذا المكان تحملق فى لا شىء ، ثم لا تتوقف عن الضرب بقدميك فى جنبى وكتفى ؟

الملك : احب كوروبى .

نمرود : فى هذه الحالة أنت تحب فتاة قد ركلتها بقدميك من قبل .

الملك : سآمر بضربك بالسياط !

نمرود : اضربنى ، هل تستطيع أن تعذبنى كما أعذبك الآن ؟

الملك : اسكت . ضع رأسك بين قدمى .

نمرود : امرك يا مولاى .

(صمت)

الملك : لا تنطق بكلمة .

نمرود : ألا ترى أنك تعتدى على صمتى ؟

الملك : حدثنى عن كوروبى . أنت رأيتها . لقد قدمت لك شرابا من مياه الفرات القذرة .

نمرود : أنت تغار منى .

الملك : أنا غيور .

نمرود : كانت تضع على وجهها قناعا .. ولكن من تحت هذا القناع رأيت جمالها قبل أن تدركه أنت .

الملك : جمالها يملأ كل مدينة بابل ، وأغانى محبيها تتردد فى كل مكان حتى فى قصرى هذا .

(أحد رجال الحاشية يتغنى بجمـــال كوروبى بصـــوت مسموع : ان الملك لا يستحقها .. انها جميلة .. جميلة)

نمرود : هل سمعت ؟ حتى الخدم قد تحولوا الى شعراء .

خادم آخر : ملابسها من النور ، ومسكنها القبور ..

الملك : (فى هدوء) : يا جلاد !

(ومن جهة اليسار يدخل عاقى فى ملابس الجلاد)

عاقى : مولاى

الملك : اقتل الخادم الشاعر

الخادم : سنحرق من أجلها ذلك الشحاذ ..

عاقى : بكل سرور يا صاحب الجلالة . سنتخذ اجراءات عنيفة معه .

(ويخرج من ناحية اليمين)

الخادم : الجميلة .. الجميلة .. الجميلة

(وينقطع صوته فجأة)

الملك : (فى هدوء) كل من يحب كوروبى سوف يموت .

نمرود : فى هذه الحالة ستشنق الجنس البشرى كله !

الملك : سأفقأ عينيك .

نمرود : افقأ عينى بحديد مشتعل ، املأ أذنى برصاص ملتهب، اطبق شفتى بالمسامير ، فلن تستطيع أن تمحو ذكراها من رأسى !

الملك : يا رئيس الوزراء !

رئيس الوزراء : مولاى

الملك : الق بالملك السابق فى غياهب سجون القصر .

رئيس الوزراء : أمرك يا مولاى . ولـــكن القانون صريح فالدستور ينص على أن ســاقى الملك يجب أن توضـــعا على ظهر الملك السابق . فاذا طبقت هـــذا القـــانون وجب أن تذهب معه يا مولاى . الدستور صريح فى أن الملك السابق يجب أن يكون دائما تحت قدمى خلفه العظيم !

الملك : غير هذا الدستور !

رئيس الوزراء : مستحيل . ان هذا التغيير معناه ان خمسمائة ألف مادة من دستور بابل أصبحت غير ذات قيمة ، لأن كل مواد الدستور تترتب على هـــذه الفقرة ، وعلى معنى الملك . فاذا غيرنا هذه الفقرة أصبحت الدنيا فوضى .

(رئيس الوزراء ينسحب ونمرود يضحك)

نمرود : كان يقول لى نفس الكلام .. نفس الكلام !

الملك : وفى كل مرة يتزايد عدد مواد الدستور حتى أصبحت لا تعد ولا تحصى !

نمرود : وكذلك عدد المصالح الحكومية .

الملك : لم يبق لى الا شىء واحد هو أن أضـــع قدمى على ظهرك لكى اريح ساقى .

نمرود : وابنك ولى العهد .

(ومن ناحية اليسار يدخل شخص أبله وهو يرقص . ثم يذهب الى مؤخـــرة المسرح ويختفى . ويخفى الملك وجهه بيديه)

الملك : ابنك .

نمرود : ابننا الوارث لكل سلطاننا . لا أحـــد يعرف من هو أبوه بالضبط فنحن الاثنين قد التقينا فى فراش أمه فى لحظة واحدة عندما كنا مخمورين الى أقصى درجة !

الملك : نحن مربوطان معا . أنت وأنا .

نمرود : الى الأبد .

الملك : من ألوف السنين .

الاثنين معا : أنا هنا فوق وأنت هنـــاك تحت . أنا هنا تحت وأنت هناك فوق !

(صمت)

الملك : يا جلاد .

(عاقى يدخل)

الا أنها أوامر مشددة .

عاقى : حاول أن تختبرنى !

الملك : هل شنقت علماء الجغرافيا والفلك ؟

عاقى : لقد طهرنا السجون منهم يا مولاى .

الملك : هل قضينا تماما على المتسولين والشحاذين ؟

عاقى : تماما .

الملك : والشحاذ عاقى ؟

عاقى : لقد أصبح شيئا آخر لو شاء مولاى أن يمثل أمامه، ما استطاع أن يعرفه !

الملك : علقه من عمود النور !

عاقى : انه ارتفع الى أبعد من ذلك .. فوق .. انه فى أعلى الدوائر الآن .

الملك : ان حامى حمى الشعراء من الصعب أن يدخل السماء ..

عاقى : انه لم يذهب الى السماء .. وانما دونها بقليل ..

الملك : لقد استئصل الشحاذون تماما . وهذه هى أول مرة منـــذ الطوفان .. ان هذا تقدم ملموس . لقد بدأت الانسانية تتخذ أشكالا أوضح وتحقق مبادىء انســانية أعظم وأسمى . فلقد قضينا على هذا الفساد الاجتماعى . وأما الخطوة التالية : من

أجل مجتمع أعقل ، فسوف نقضى على الشعراء والكهنة .

(عاقى يرتجف)

عاقى : وخصوصا الشعراء . لقد كان الهدوء شـــاملا فى غياهب السجون ، أما الآن فقد بدأت الحاشية تنظم الشعر .

الملك : هل شنقت الخادم الذى كان يغنى ؟

عاقى : تقاليد القصر الملكى تقضى باعدام رجال الحاشية فى الظلام . ولكنى أفضـــل أن تأمر جلالتكم باعدام الكهنة . انهم أناس ألطف .

الملك : ان حديثا مع كبير الكهنة سينهى هذا الوضع . قم بواجبك وأعد لهم مكانا مناسبا للاعدام بالجملة .

(عاقى يخرج)

أريد كبير الكهنة .

(يدخل كبير الكهنة « اوتنا » من ناحية اليمين ، وهو رجل مسن وقور)

اوتنا : ماذا تريد يا صاحب الجلالة ؟

الملك : أبصق على الوجه الذى قدامى !

اوتنا : تطبيقا للقانون الذى وضعته أنا أعفى نفسى من هذه المهمة .

الملك : فى هذه الحالة ، العن هذا الرجل الى الأبد .

(ويشير الى الملك السابق) .

اوتنا : اننى أصلى من أجل خلاص الانسانية .

(ويضحك نمرود . ينهض الملك واقفا)

الملك : يمكنك أن تجلس .

اوتنا : أشكرك .

الملك : أريد النصيحة .

اوتنا : اننى مصغ يا مولاى .

الملك : (مترددا) هل كنت حاضرا فى ذلك اليوم الأليم الذى هبط فيه الملاك على شاطىء الفرات ؟

اوتنا : انها تجربة عنيفة بالنسبة لى ككاهن . اننى لا أومن بالملائكة وكتبت بحوثا كثيرة أهاجم من يؤمن بالملائكة . ولقد أحرق اثنان من علماء اللاهوت بسبب ايمانهم بوجود الملائكة .. وأنا أعتقد أن الله ليس فى حاجة الى مندوبين ، ما دام الله قويا قــوة مطلقة .. والآن أجدنى مضـــطرا الى اعادة النظر فى معتقداتى الدينية . وهى مهمة صعبة جدا .. فأنا محتاج الى أن أفسر عقيدتى الى رجل الشارع ، وأنا محتاج الى أن أوضح له ما معنى أن يكون الله قويا قوة مطلقة ، وفى نفس الوقت عنده ملائكة .

الملك : لا أفهم ما تقول .

اوتنا : لا يهم يا صاحب الجلالة . حتى رجال اللاهوت من الصعب أن يفهم بعضهم بعضا .

الملك : (مضطربا) هل رأيتنى وأنا أركل تلك الفتاة ؟

اوتنا : لقد انزعجت لذلك .

الملك : أنا أحب تلك الفتاة .

اوتنا : نحن جميعا نحبها .

الملك : ان المدينة كلها تغنى من أجلها .

اوتنا : أعرف . حتى أنا حاولت أن أنظم فيها شعرا .

الملك : وأنت أيضا ، أكبر الناس سنا ، حتى أنت ؟

(صـــمت)

ان السماء قد أهانتنى !

اوتنا : انت فقط تحسد نفسك يا صاحب الجلالة !

(الابن الأبله يمـر فى مؤخرة المسرح يلعب بالطوق يمينـا ويسارا وينحنى كبير الكهنة)

الملك : (مضطربا) أتظن ..

اوتنا : اذا أردنا يا مولاى أن نفهم نظـــام الكون ، وهو شىء محير بالفعل ، يجب أن نؤمن ايمانا تاما بأن السماء على حق دائما .

الملك : (حزينا) فى هذا الصراع بينى وبين السماء . أرى أنك قد اتخذت جانب السماء ، أنا آسف ففى هذه الحالة أجدنى مضطرا لاعدامك . يا جلاد .

(يدخل عاقى من ناحية اليسار)

عاقى : (سعيدا) اذن جاء دور الكهنة يا مولاى . تسمح لى .

اوتنا : (وقد نهض بكبرياء واعتزاز) كما تشاء .

الملك : (منزعجا) اجلس يا عزيزى . اننى لست متعجلا الى هذه الدرجة فالجلاد فى وسعه أن ينتظر قليلا . وفى هذه الأثناء يجب أن تحدثنى بعض الشىء .

عاقى : أرجو ألا تضعف يا صاحب الجلالة . فمع الكهنة يجب أن يكون الانسان صارما عنيفا ! هذه نصيحتى !

اوتنا : (فى هدوء) لعلك ظننت أن الســماء فى تلك الليلة قد شاءت أن تنخدع فيك وتعاملك على أنك شحاذ . ان هـذا شىء مضحك لقد خدعت الملاك ، ولكن الله الذى بعث به يعلم جيدا من الذى أخذ الفتاة ، لقد أعطاها لك يا مولاى . فالله ليس فقط قويا قوة مطلقة ، بل انه بكل شىء عليم ..

الملك : (حزينا) ولكن السماء بعثت كوروبى لأفقر الناس .

اوتنا : ان كلمات السماء يجب ألا نفسرها تفسيرا حرفيا . وانمـا يجب فهمها على أساس من الادراك العام . ان الناس جميعا فى غاية الضآلة . وهم متساوون فى ذلك اذا قورن الانسان بفخامة الأســماء وأحداث الســماء وبسوء تقديرك أنت قد أفسدت تلك الهبة التى بعثت بها السماء اليك .

الملك : (فى رقة بعد لحظة صمت) كل ما يتعلق بشنقك لم أعد افكر فيه !

اوتنا : أشكرك .

الملك : يجب أن تــكون دراســة اللاهوت برنامجا عاما فى كل امبراطوريتى . وسأمنع دراسة كل العلوم الأخرى .

اوتنا : مع تقديرى العظيم لارادتك . أرجو الا يدرس الناس بتوسع شديد .

الملك : فى هذه الحالة يجب اعدام الشعراء .

اوتنا : يؤسفنى ذلك .

الملك : ان الدولة التى تحترم نفسها يجب الا تسمح بنشر الخرافات والأوهام فالشعراء يدعون لمشــاعر لا وجـود لها ، وقصص

يختلقونها ، وعبـــارات تافهة . وأعتقد أن اللاهوت يهمــه القضاء على مثل هذه الخرافات .

اوتنا : فعلا .. ولكن .. بشىء من التحفظ !

الملك : يا جلاد ..

(يدخل عاقى من ناحية اليسار)

عاقى : جئت .. وذهبت .. ان كل شىء معد لشنق كبير الكهنة يا مولاى .

الملك : اعتقل كل الشعراء .

عاقى : (مندهشا) الشعراء !

الملك : يجب تصفيتهم جميعا .

عاقى : اذن لنكتف بشعراء الملاحم يا مولاى انهم نســـبيا أهدأ الشعراء .

الملك : الشعراء الغنائيون والروائيون أيضا .

(يستسلم عاقى ويخرج)

وبذلك نحسم الخلاف بين الدولة والكنيسة !

اوتنا : مرة أخرى ؟

الملك : وهل ترى أنه من الضرورى أن أتزوج هذه الفتاة ؟

اوتنا : لا أفهم لماذا لم تفعل ذلك من وقت طويل ؟

(يدخل رئيس الوزراء من ناحية اليمين)

رئيس الوزراء : يا صـاحب الجلالة . لقد هبط الملاك فى حديقـة

المدينة وهو الآن يجمع جوز الهند والطيور ويقفز من شجرة الى شجرة .

(ويدخل سكرتير كبير الكهنة من ناحية اليمين ويهمس فى أذنه بشىء)

اوتنا : (سعيدا) سـكرتيرى يخبرنى بأن التحول الى الايمـان بالكنيسة قد تجاوز كل ما توقعناه .

(السكرتير ينشر ورقة طويلة موقعا عليها بأسماء عدد كبير من النساء كلهن تحولن الى الايمان بالكنيسة ؟

رئيس الوزراء : ان هبوط هذا الملاك ، لا يمكن تقدير أهميته من الناحية السياسية . والناس فى نشوة . وهم الآن يتزاحمون فى داخـل القصر ويطلبون من جلالتك أن تتزوج كوروبى فورا . وقد جاءت الفتاة الى هنا فى احدى عربات المليونير نجيب متوجة بأكاليل الغار ..

اوتنا : ثورة .

رئيس الوزراء : انها ثورة تلقائية من الشعب تدل على مدى ما فيه من روح محافظة وفى نفس الوقت تثير فينا القلق .

الملك ونمرود : (معا) اخرجوا الشعب .

رئيس الوزراء : ان ثورة الشعب لا يجب القضاء عليها وانما يجب توجيهها الى ناحية أخرى تنفعنا فى النهاية .

(الملك ونمرود يبدو عليهما التفكير العميق)

الملك ونمرود : (معا) أنا استمع .

الملك : وما شأنك أنت ؟

نمرود : ليس عرشك فقط الذى فى خطر — انه عرشنا معا !

(ويتخذ كل منهما طابع التفكير العميق)

رئيس الوزراء : يا صاحبى الجلالة ، ان عرش بابل ، هـذا العرش النبيل الذى توارثناه من ألوف السنين ، والذى هو مركز العالم كله ، والذى التف حوله الشعب ، بكل طبقاته ..

الملك ونمرود : عرض هائل لتاريخنا ..

رئيس الوزراء : .. خلال ألوف السنين ، قد وصل الى أحط الدركات حتى لقد وصف بأنه أحط أنواع العروش .

الملك ونمرود : (معا) كيف تجرؤ على هذه الاهانة ؟ يا جلاد .

(ويظهر عاقى من ناحية اليسار ؛ ولكن رئيس الوزراء يبعده قليلا)

رئيس الوزراء : لا داعى لأن تنزعجا يا صاحبى الجلالة فالذى قلته ليس الا بيانا سياسيا ، وليس رأيا شخصيا .

الملك ونمرود : أكمل ..

رئيس الوزراء : لقد أصبحت الموضة فى بابل الآن أن يتظاهر الانسان بأنه جمهورى ، ان هذه التقليعة الجديدة التى تتردد فى الحاشية يجب أن نعالجها بشدة ، والا تلاشت امبراطوريتنا الكبرى ..

الملك ونمرود : كما يتلاشى الجليد فى الشمال عند قدوم الربيع .

اوتنا : وماذا تقترح يا رئيس الوزراء ؟

رئيس الوزراء : هذه الفتاة كوروبى ، التى أثارت كل المواطنين يجب تتويجها ملكة نورا .

اوتنا : ان الدين والسياسة قد تعانقا فى سعادة .

رئيس الوزراء : لم يحدث قط أن دارت الأمور فى أيدينا بمثل هذه الصورة الايجابية وأنا كرجل سياسى سعيد بهـذا الوفاق . فأمامنا الآن فرصة نادرة لأن نستخدم الدين لتدعيم هذا الصرح الذى يستند الى أسس سياسية هزيلة . فالناس اليوم يؤمنون بشيئين : كوروبى والسماء . فاذا جعلنا هذه الفتاة ملكة ، اختفت فكرة الجمهورية بضعة ألوف من السنين ، ونحن يجب أن نفسح الطريق لارادة الشعب، وبعد ذلك سيكون كل شىء على احسن ما نريد . وربما أصبح لنا ولى للعهد فى وقت قريب .

الملك ونمرود : احضر الفتاة .

(ويخرج كبير الكهنة ورئيس الوزراء)

الملك : ولكن قبل كل شىء أريد أن أتحدث الى الجلاد .

(كبير الكهنة ورئيس الوزراء فى حيرة)

اوتنا : ولكن يا صاحب الجلالة ما علاقة الجلاد بمثل هذه المناسبة السعيدة ؟

الملك : لا توجد مناسبة فى امبراطوريتى لا علاقة لها بالجلاد يا كبير الكهنة ، فى استطاعتك أن تخرج

(ويخرج كبير الكهنـة ورئيس الوزراء ويدخل عاقى من ناحية اليسار وتسمع أغانى وأصوات مرحة)

عاقى : مولاى .

الملك : ما هذه الأغانى يا جلاد ؟

عاقى : انهم فى غاية السعادة .

الملك : سعادتهم واضحة .

عاقى : لقد عاش شعراء بابل حياة تعيسة لدرجة أنهم سعداء بالحياة فى السجن .

الملك : تعال هنا .

عاقى : أمر مولاى .

الملك : انزع قناعك .

عاقى : لا داعى يا مولاى .

الملك : اننى أشعر بالارتياح اذا كنت قريبا منى ..

عاقى : ولكن واجباتى يا مولاى .. اننى مشغول بتطهير السجون استعدادا لمقدم الربيع .

الملك : هل شنقت الشعراء ؟

(ويترنح أحد الشعراء على المسرح ، من ناحية اليسار ، ويشرب من اناء ضخم ويشير اليه عاقى أن يخرج . ويخرج مترنحا)

عاقى : اننى أغير ظروفهم الاجتماعية يا مولاى .

الملك : أريد أن أتحدث اليك كرجل لأخيه . أنت أقل الناس أجرا ، وأكثرهم عملا فى امبراطوريتى . سأعطيك شيكا بمبلغ ألف قطعة ذهبية .

(ويخرج من جيبه دفتر شيكات . وعاقى يناوله قلما والملك يكتب الشيك)

عاقى : شكرا .

الملك : أنت الشخص الوحيد فى كل امبراطوريتى الذى لا يهين كرامته والذى يظهر على حقيقته دائما .

عاقى : أعتقد أن جلالتك بالغت قليلا .

الملك : أنت الشخص الوحيد الذى أثق به . والآن سألتقى بالفتاة التى أحبها . أريد أن أمتحنها فمن الممكن أنها لم تعد تحبنى فقد كانت على صلة بعدد كبير من الشعراء ثم كانت على صلة بذلك الشحاذ عاقى .

عاقى : وما الذى تريده منى يا مولاى ؟

الملك : أن تقتل هذه الفتاة اذا كانت لم تعد تحبنى .

(رئيس الوزراء وكبير الكهنة يقدمان كوروبى من باب الستارة . عارية القدمين ممزقة الملابس)

رئيس الوزراء : (فى نشوة) الآنسة !

(عاقى يختفى ويخفى كل من الملك ونمرود وجهيهما باقنعة ذهبية)

اوتنا : تعالى يا ابنتى العزيزة .

(وينسحب كبير الكهنة ورئيس ورئيس الوزراء الى الخلف)

الملك ونمرود : مرحبا بك .

كوروبى : توأمان ؟

الملك ونمرود : أنت تقفين أمام ملك بابل .

(الأبله يحدث أصواتا فى مؤخرة المسرح)

كوروبى : (خائفة) من هذا ؟

الملك ونمرود : انسان لا يضر يتردد على القصر من حين لآخر .

(تقترب كوروبى أكثر فأكثر)

كوروبى : هل أنت أقوى الناس جميعا ؟

الملك ونمرود : أهل بابل يريدون أن تصبحى زوجتى .

كوروبى : لا أستطيع أن أكون زوجتك .

الملك : تحبين رجلا آخر .

(الملك يلوح بيده فيظهر عاقى وراء كوروبى)

كوروبى : أحب رجلا آخر .

الملك : أحد الشعراء ؟ انهم أكثر الناس انشغالا بك .

كوروبى : أحب الشعراء ، انهم فى غاية اللطف .

الملك : فيها قولان !

كوروبى : اننى أحبهم فقط لأنهم ينظمون الشعر .

الملك : لقد شوهدت مع رجل عجوز يروى اعترافات فى الشوارع وتحت الكبارى .

(عاقى يضرب الأرض بقدمه فى غيظ)

كوروبى : أحب هذا الشحاذ عاقى كما يحب الانسان أباه .

الملك : (وقد استراح) ومن الذى تحبينه كما تحب الفتاة فتى .. شابا كما تحب الفتاة حبيبها ؟

(وباشارة من الملك ينسحب عاقى)

الملك : هل تحبين شحاذ نينوى ؟

كوروبى : (سعيدة) هل تعرفه ؟

الملك : انه ذلك الشاب التعيس . لقد كان فى مأساة . كان يائسا وكان وحيدا !

كوروبى : لا أستطيع أن أنساه .

الملك : لقد اختفى .

كوروبى : لقد رأيته .

الملك : كثيرا ما رأى الانسان ما تخيله .

كوروبى : لففت ذراعى حوله . وقبلته .

الملك : أنت تنشدين انسانا لا وجود له .

كوروبى : سأجد الانسان الذى أحببته يوما من الأيام فى مكان ما .

الملك : اذن ابحثى عنه .

كوروبى : (تنحنى) أشكرك أيها الملك العظيم .

(الملك ونمرود يخلعان قناعيهما وعندما تنظر اليه كوروبى تعرفه وتصرخ)

كوروبى : هذا هو الأسير الذى أعطيته الماء ليشرب .

نمرود : نعم أنا .

(وتعرف الملك وتصرخ)

كوروبى : شحاذى الحبيب !

الملك : نعم أنا .

كوروبى : الملك .

الملك : الذى لم يشك لحظة فى حبك .

كوروبى . حبيبى .

(وبدت شاحبة ، وتتطلع اليه عندما يتجه اليها) .

الملك : الشحاذ الذى تبحثين عنه لم يعد له وجود لأنه لم يكن له وجود . لقد ظهر فى تلك الليلة ، واختفى فى تلك الليلة ، لقد فقدت هذا الشحاذ وكسبتنى . لقد أحببت شحاذا . والآن أصبح ملكا . وتعويضا لك عن اهانتى لك فى تلك الليلة أمنحك الأرض كلها . فما تبقى من الأرض تحتله الآن جيوشى فى لبنان . ستجلسين عن يمينى وقدماك على رأس الملك السابق ورجال امبراطوريتى جميعا سوف ينحنون أمامك . وسأقدم الذبائح للسماء ، كما لم يحدث فى التاريخ .

(ويأخذها من يدها ويتجه بها الى العرش) .

كوروبى : (كأنها تصحو من نوم ثقيل) أنت الملك ولكن الملاك أعطانى لك لأنك شحاذ .

الملك : لم أكن شحاذا أبدا . لقد كنت ملكا دائما . وقد تنكرت فى ملابس شحاذ .

كوروبى : بل أنت الآن متنكر .

الملك : لقد اختلط عليك الأمر يا طفلتى العزيزة .

كوروبى : على شاطىء الفرات كنت أنت الرجل الذى أحببت ، أما الآن فأنت شبح يخيفنى .

الملك : بل عندما كنت شحاذا كنت شبحا .

كوروبى : تعال معى الى شاطىء الفرات .

الملك : يا عزيزتى كوروبى اننى أحكم العالم .

نمرود : (ساخرا) اننى أحكم العالم .

(يحاول أن يجلس على العرش ، ولكن الملك يذهب الى العرش قبله) .

الملك : على الأرض .

(ويرغم نمرود على أن ينام على الأرض ويضع رجليه فوق ظهره . وتقترب هى منهما وتلف ذراعيها حول الملك) .

كوروبى : دع هذا الحلم المخيف يختف . أنت لست ملكا عد الى نفسك من جديد . أنت شحاذ وستبقى شحاذا . أنا أحبك . دعنا نخرج من هذا البيت الحجرى ومن هذه المدينة الحجرية وسأتولى الشحاذة عنك . وسنمشى فى الوديان الشاسعة التى حدثنى الملاك عنها . وعندما نعبر الصحراء فلن نخاف . وفى الليل سننام على الأرض متعانقين وسننام تحت الأشجار تحت النجوم .. تحت نجوم السماء اللامعة ..

الملك : يا كبير الكهنة .

(يدخل كبير الكهنة أوتنا) .

أوتنا : ماذا تريد ؟

الملك : كاد الملك السابق أن يخطف العرش الآن ، وهذه الفتاة تطلب منى أن أعود شحاذا . وهى لا تستطيع أن تفهم أننى لم أكن شحاذا قط . كل رحلات الملاك وكل قصائد الشعراء قد

ملأت رأسها بالسخافات ، كلما أنت • انها لا تعرف شيئا من أمور البشر •

(وجلس فى ضيق على عرشـــه • وكبير الكهنة يأخذ الفتاة من ذراعيها متجها الى اليمين ويجلسان معا) •

اوتنا : أنا كبير الكهنة يا ابنتى •

كوروبى : (سعيدة) اذن أنت مشغول بالتفكير فى الله ؟

اوتنا : دائم التفكير فيه •

كوروبى : وهل تعرفه جيدا ؟

اوتنا : (بشىء من الأسف) ليس كما تعرفينه أنت يا ابنتى • فقد كنت قريبة الى وجهه • أنا لست الا انسانا • والله قد أخفى نفسه عنا نحن البشر • ونحن لا نراه ، وانمـا نحن نفتش عنه • هل تحبين الملك يا ابنتى ؟ •

كوروبى : وانما أحب الشحاذ الذى أعطانى الملاك له •

اوتنا : الملك والشحاذ هما شخص واحد !! ومعنى ذلك أنك تحبين الملك •

كوروبى : (تخفى رأسها بيديها) لا أستطيع أن أحب الا الشحاذ •

اوتنا : (يبتسم) أنت تريدين من الملك أن يكون شحاذا ؟

كوروبى : أريد أن أفعل ما أمرنى به الملاك •

اوتنا : الذى أتى بك اليه هو الشحاذ وهو الملك أيضا • لقد اختلط الأمر عليك يا ابنتى فأنت غير قادرة على أن تعرفى ان كنت ترغبين فى أن تكونى ملكة أو فى أن تجعلى الملك شحاذا • أليس كذلك يا ابنتى ؟

كوروبى : بلى يا أبى !

(يدخل اثنان من الشـــعراء يترنحان من الخمر وفى أيديهما قطع كبيرة من اللحم والملك يتجه ناحيتهما فى نفاد صبر عندما ضايقته أصوات هذين الشاعرين ولكن فى نفس الوقت لا يرفع عينيه عن كبير الكهنة والفتاة)

اوتنا : عندما كنت صـــغيرا فى عهد الطوفان ، كنت أتصـــور أن السماء تريد الطاعة الكاملة • وكلما تقدمت فى السن ، ازداد يقينى من أن هذه الفكرة ليست صحيحة تماما • ان السماء تطلب من الانسان قبل كل شىء ما هو ممكن ، والسماء تعلم أنه ليس من الممكن أن يصبح الانسان كاملا فى لحظة واحدة ، ولو حاولت السماء ذلك لحطمت الانسان ! ومن أجل هذا تحبنا السماء لما فينا من عيوب ونقص • انهـــا صابرة علينا وهى الآن مع ابنه الصـــغير ، وأن تعلمنـــا بالتدريج عبر ألوف سعيدة بأن تهدينا بمنتهى الرفق الى سواء السبيل كما يفعل السنين •

كوروبى : كلامك جميل يا أبى •

اوتنا : ولذلك فنحن نخطىء فى فهم السماء عندما نتصورها مثـل سيد يصدر أوامر صارمة مســتحيلة التنفيذ ولا بد من تنفيذها ! ومع أن ذلك يؤدى الى الاضطراب على اوسع نطاق ، هل تفهمينني يا ابنتى ؟

كوروبى : انت رحيم بى يا أبى ••

(وينصرف رئيس الوزراء وباشارة من كبير الكهنة ، ينزل الملك عن عرشـــه متجها الى حيث كبير الكهنة وكوروبى) •

اوتنا : الأمر لك أنت والملك . فاذا أردت أن تفهمى أوامر السماء فهما حرفيا لأنك قابلت الملك وهو فى ملابس شحاذ ، فلن تكونى زوجة له الا اذا كان شحاذا مرة أخرى .. والنتيجة هى أن الانسانية ستكون فى فوضى شاملة . فالانسان يريد أن يتصور السماء وقد رضيت عن الملوك لا عن الشحاذين . والشعب يريد أن يراك ملكة ، لا أن يراك شحاذة مهلهلة الملابس ، وفى استطاعتك أن تساعدى الناس ، لأنهم جميعا فى حاجة الى مساعدتك . وفى استطاعتك أن تهدى الملك الى سواء السبيل . تزوجيه يا ابنتى لتحقيق الخير والسلام على الأرض .

(ويكاد يجعلهما يتصافحان عندما يدخل رئيس الوزراء)

رئيس الوزراء : يجب أن نتفاوض مع الثوار . انهم يلقون الطوب على تمثال صاحب الجلالة .. التمثال ذو الرأس المتغير .. ذو الرأسين رأس صاحب الجلالة ورأس الملك السابق ..

اوتنا : وتمثالى أيضا ؟

رئيس الوزراء : لم يمسه أحد وانما غطوه بالورود !

اوتنا : شكرا للسماء . سيدخل الناس أفواجا الى هذه الكنيسة وسيتحولون عن دينهم يوما بعد يوم .

(وينتهز نمرود هذه الفرصة ويجلس على العرش) .

نمرود : جيوشى ستغزو فورا .

رئيس الوزراء : مستحيل يا صاحب الجلالة . لقد دخلت كل قرى لبنان ولم يبق من الجيش كله سوى خمسين من حرس القصر .

اوتنا : لقد أصبحت بابل ضحية للرغبة العنيفة فى السيطرة وغزو العالم .

الملك : (الذى أخذ مكان نمرود على الأرض وفى حزن) اننى لم أكد أصبح ملكا حتى صرت ملكا سابقا وتكأة لقدمى الملك . لم يحدث مثل هذا التغير وبهذه السرعة فى نظم الحكم . ان هناك كارثة فى الطريق الينا .

رئيس الوزراء : ان جلالتك تبالغ قليلا . ان الناس أمثالنا يصعدون الى أعلى الدرجات بشكل ما .

نمرود والملك السابق : وما الذى تفعله يا رئيس الوزراء ؟

رئيس الوزراء : يجب أن تتساءلا يا صاحبى الجلالة عن سر هذه الثورة فى البلاد ؟

نمرود والملك السابق : بل تساءل أنت ؟

رئيس الوزراء : انها مجرد رغبة من الجماهير فى أن ترى الآنسة ملكة على البلاد . هذه الرغبة من أن هتافات الجماهير تؤكد هذا المعنى ، الا أننى كرجل سياسة أفهمها على نحو آخر . ان السبب الحقيقى شىء آخر . ان ظهور الملاك قد أدى الى تحقير الناس لسلطة هذه الدولة .

اوتنا : يجب أن أحتج على هذه الاهانة . لقد جمعت كل الكلمات التى قالها الملاك وفسرتها تفسيرا لاهوتيا ، فلم أجد فيها عبارة واحدة تمس الدولة أو تثير الشعب .

رئيس الوزراء : لقد أسأت فهم ما أقول ياسيدى . اننى لا أنتقد الملاك وانما فقط ظهوره على الأرض ، فقط المكان الذى ظهر فيه . انه الآن يرفرف فوق حدائق الاعدام ، ثم يهبط الى البحر

برأسه أولا .. هل هذا سلوك لائق ؟ أريد أن أعرف ! .. ان الدولة تصبح دولة محترمة ، اذا بقيت الأرض أرضا والسماء سماء . والأرض هي هذا الواقع الذى يعالجه رجال السياسة . والسماء هي تلك الفكرة الجميلة التى يتأملها رجل الدين ولكن اذا تحولت السماء الى شيء ملموس ، كما حدث بظهور هذا الملاك ، فان النظام الانسانى سوف ينهار . مادامت السماء أصبحت مرئية ملموسة هكذا .. ان مثل هذا الانقلاب فى نظام الأشياء سيجعل الدولة مجرد أضحوكة للناس . ونحن الآن أمام هذا الاهمال الكونى .. لقد ثار الشعب ضدنا ، لماذا ؟ لأن الزواج لم يتم بسرعة .. يكفى أن يرفرف حولنا ملاك ليختفى كل احترام لنا بين الناس .

نمرود الملك السابق : كلام عظيم !

رئيس الوزراء : والحل الوحيد هو أن ننكر هذا الملاك بصفة رسمية .

أوتنا : مستحيل . لقد رآه الناس علنا .

الملك السابق : أى تناقض هذا ؟ منذ لحظات كنت سعيدا بظهور هذا الملاك .. !

نمرود : لقد كنت تريد استخدام الدين فى تدعيم الوضع السياسى وسحق النظام الجمهورى

رئيس الوزراء : (يحنى رأسه) كلما تناقض السياسى كثيرا جاء ذلك دليلا على عظمته ..

أوتنا : اننى لست راضيا من الناحية اللاهوتية ، على ظهور هذا الملاك .. ولكن الكنيسة تدين بانتعاشها لظهوره ..

رئيس الوزراء : سنمنع أى انسان من الخروج من الكنيسة وستكون العقوبة هى الاعدام .

أوتنا : وعلى الرغم من أننى لا أعترض على منح بعض المزايا للملحدين وفى نفس الوقت أفضل أن يكون لدى نصف الدخل القومى للدولة !

رئيس الوزراء : مستحيل .

أوتنا : فى هذه الحالة سأظل معترفا بالملاك .

رئيس الوزراء : ان ثورة الجماهير تتهددنا جميعا .

أوتنا : انها لا تهددنى يا سيدى .. انها ثورة ضد أى ملكية وليست ضد الكنيسة .. اننى فى هذه اللحظة أكثر الساسة شعبية فى بابل .. اما نصف الدخل القومى كله ، واما أقيمت حكومة دينية فورا ..

رئيس الوزراء : ثلث الدخل القومى .

أوتنا : قلت لك نصف الدخل .

رئيس الوزراء : فى هذه الحالة أريد انكارا صريحا عنيفا لوجود هذا الملاك .. وكل الملائكة ..

الملك السابق : (مترددا) ولكنى أريد سلاما .. وتحالفا مع السماء.

أوتنا : سوف يحدث .. تزوج هذه الفتاة ..

رئيس الوزراء : لا مانع عندى من هذا الزواج مادام يسعد السماء.. فلا شيء مثل زواج سعيد .. سيحدث سرا .. ولكنى أصر على أن ظهور الملائكة على الأرض يجب أن يخضع لشيء من النظام .

نمرود والملك السابق : نريد أن نتفق على المكان الذى جاءت منه كوروبى .

رئيس الوزراء : نعلن أنها ابنة أحد الأغنياء وكانت مفقودة ثم عثرنا عليها .

نمرود والملك السابق : يجب اعداد الوثائق الخاصة بذلك .

رئيس الوزراء : (وقد أخرج من جيبه ورقة) مكتبى قد أعد كل الوثائق اللازمة .

نمرود والملك السابق : يجب اتخاذ الخطوات المناسبة فورا .

(قائد الجيوش يدخل) .

القائد : لقد ضربونا . ان الحرس يتجه الى الشعب الآن انهم يدقون الأبواب بالطوب والحجارة .

(وتسمع أصوات الجماهير وهى تحطم الأبواب)

نمرود : نهايتنا ..

(ويهرب من العرش ، ولكن رئيس الوزراء وكبير الكهنة يمسكانه)

رئيس الوزراء وكبير الكهنة : (معاً) اهدأ ، يا صاحب الجلالة اهدأ . ما دمنا نحن الذين نرتب كل شىء ، فلن يضيع شىء ..

(ويقودان نمرود الى مكانه على العرش الذى احتله الملك السابق)

الملك : أنا الآن جالس على العرش مرة أخرى .

رئيس الوزراء : (بصفة رسمية الى الفتاة) ابنتى العزيزة لكى يشرفك

صاحب الجلالة ، وليعبر لك عن حبه ، فانه يعينك ابنة لأحد الأغنياء .. انه رجل غنى ولكنه تعس .. ومع الأسف قد مات فى العام الماضى وتركك وحدك ـ وهذا يفسر فقرك الحالى ـ على شاطىء الفرات فى ظروف قاسية أنت تعلمينها جيدا وعلى المؤرخين أن يفسروها لنا فيما بعد .. وهذا بيان رسمى بذلك ولا يوجد أدنى شك فى أصلك ونسبك .. ونحن نرجو أن تؤكدى هذا البيان للشعب بنفسك ..

كوروبى : (فى فزع) لكل الشعب ؟

رئيس الوزراء : وهذا ضرورى جدا .. وسنخرج الى الشرفة فورا .. وسيعلن ظهورنا عشرة من الذين يدقون الطبول .

كوروبى : وهل أذكر الله الذى خلقنى ؟

اوتنا : بالطبع لا يا ابنتى !

كوروبى : وأن الملاك قد أتى بى الى هنا من السماء ؟

اوتنا : طبعا لا يا ابنتى . اننا نعرف من أين جئت ونحن فى غاية الامتنان لأنك حققت هذه المعجزة . لا أحد منا يريدك أن تنكرى هذا الذى فى قلبك .. بل على العكس من ذلك يا ابنتى .. احتفظى به فى قلبك ، احتفظى به بعيدا عن الناس كما سأحفظه أنا فى أعمق أعماقى .. وكل ما نطلبه منك يا ابنتى ، هو فقط مجرد تفسير لهذه الحقيقة الرائعة لكى ننشرها على الشعب الذى يحول كل شىء من مجرد معلومات عادية الى شىء مثير ..

كوروبى : أبى لقد أخبرتنى أنك تفكر فى الله دائما ، وان هذا لا يرضيك ..

أوتنا : (تعساً) هذا أفضل يا ابنتى ..

كوروبى : اذن فانت متفق مع رئيس الوزراء ؟

اوتنا : ليس اتفاقا تاما يا ابنتى ، انما اردت أن أحمى السماء من أن تسىء الى نفسها · ان أهل بابل قد امتلأت رؤوسهم بكثير من الخرافات والأوهام والعفاريت والأرواح وعن الآلهة التى لها أجنحة ، ثم ان ديانتى التى تعلم الناس أن هناك الها واحدا ، بدأت تنتشر بين الطبقات الراقية من الشعب ووجود مــلاك سيؤدى الى ارتباك الناس ، ويفتح الطريق أمام شطحات الفكر فهذا الرسول الذى بعثت به السماء قد قلب لنا الأوضاع والقى بكل شىء فوق رؤوسنا ·

(كوروبى تتجه الى الملك)

كوروبى : هل سمعت ما يطلبون منى يا حبيبى .. ؟

الملك ونمرود : لابد أن نطلب اليك هذا ·

كوروبى : هل أخون السماء التى هبطت منها والتى باســمها يحب بعضنا بعضا ؟..

الملك ونمرود : هناك ضرورات انسانية تحتم ذلك ..

كوروبى : لن تهرب معى .. ؟

الملك ونمرود : يجب أن نكون عقلاء ..

(صمت · وفى الخـــارج تتردد ضوضاء الجمـــاهير ، وتصبح أصواتهم أكثر تهديدا)

كوروبى : دعنى أخرج يا ملك بابل ·

(حيرة عامة)

الملك : ماذا تقصدين ؟

اوتنا : لا افهمك يا ابنتى العزيزة !

رئيس الوزراء : كل شىء فى غاية الدقة يا ابنتى ·

كوروبى : سأبحث عن الشحاذ الذى أحببته ·

الملك : أنا ..!

كوروبى : أنت كذاب ..

اوتنا ورئيس الوزراء : (معاً) نؤكد لك ذلك يا ابنتى .. انه هو ·

كوروبى : أنتما تكذبان · أنتما تنكران وجود المــلاك .. أريد أن أخرج .. سأبحث عن الرجل الذى أحببته ·

(فى يأس يهبط من عرشه)

الملك : أنا حبيبك ·

كوروبى : أنا لا أعرفك ·

الملك : أنا الملك ·

نمرود : أنت الملك السابق ·

(يحاول أن يعتلى العرش · ولــكن الملك يقفز فوقه ويسقط من العرش)

كوروبى : اننى لا أعرفك · لقد اتخذت شــكل حبيبى ، وملامح حبيبى ، ولكنك لست حبيبى · فى لحظة ، أنت ملك · وفى لحظة أنت ملك سابق · أنت وهم · أما الشحاذ الذى أبحث عنه فهو حقيقة لقد قبلته ولا أستطيع أن أقبلك · لقد ركلنى بقدميه · أما أنت فلا تستطيع أن تركلنى لأنك تخشى أن تترك عرشك .. ان قوتك ضعف .. وغناك فقر .. وحبك

لى هو حبك لنفسك • لا أنت حى ولا أنت ميت • أنت موجود وليس لك وجود • دعنى أخرج يا ملك بابل ، بعيدا عنك وعن هذه المدينة •

(ويجلس الملك على العرش من جديد)

الملك : (فى رقة) أنت رأيت أساس قوتى • انه ابنى • لقـــد مر منذ لحظات فى هذه القاعة • أبله يرث امبراطوريتى • أبله يرث امبراطوريتى • اننى ضـــائع بغير حبك لا أستطيع أن أقرب امرأة أخرى •

كوروبى : اننى أحب شحاذا ، وأعتبر نفسى خائنة له اذا لم أترك هذا المكان •

الملك : (بصوت هامس جدا) ومع ذلك أحبك !

رئيس الوزراء : أنا فى حيرة • أنا فى شدة الارتباك •• وسبب ذلك هو خلق فتيات من العدم •• خلق مثل هذه الفتيـــات من لا شىء ! •

الملك : (فى هدوء تام) والآن أستطيع أن أسمع أمانى الشعب ؟

رئيس الوزراء : مولاى •

الملك : دع الشعب يدخل القصر •

(قائد الحرس يذهب الى مؤخرة المسرح)

أوتنا : هذه نهاية الامبراطورية !

رئيس الوزراء : شكرا لله • لقد أعددت بالأمس دستور الجمهورية !

(كلاهما ينسحب ناحية اليسار • وراء الستار يبدو الناس

بالتدريج : العـــاملان • وجميل ، ورجل البوليس • الذى أصبح ثوريا الآن • والمليونير وعلى تاجر النبيـــذ وزوجات العمال ، والغانية وعدد من الناس العـــاديين والجنود كلهم مسلحون بالحجارة والسهام والرماح • ويتقدمون الى الأمام ببطء ويشيرون الى الفتاة • اما الملك فلا يتحرك)

الملك : لقد شققتم طريقكم الى قصرى • لقد هدمتم أبواب قصرى باغصان الشجر ، لماذا ؟

(صمت رهيب)

العامل الأول : انما جئنا ••

العامل الثانى : انها الفتاة ••

نجيب : يا صاحب الجلالة • لقد وقعت أحداث غريبة مما اضطررنا الى أن نبحث عن الملك وعن حاشية الملك لكى يستمعوا الينا•• اننا نبحث عن الانسان المناسب فى المكان المنـــاسب لكى يستمع الينا •

(الجماهير تضحك)

صوت : أحسنت !

نجيب : لقد هبط ملاك فى بابل ، وأتى بهذه الفتاة التى لم تستقر ارادة جلالتكم على الزواج منها •

صوت : أحسنت يجب أن يسمع صوت الجماهير !

نجيب : ووقوفنا مسلحون فى هذه القاعة ، ومحاصرة رجال الحرس لنا ، وتكاثر الجماهير فى هذا المكان – كل هذا لا يرغم صاحب الجلالة على أن يتزوج الفتاة • ونحب أن نؤكد لجلالتكم ، اننا

اذا كنا نصر على أن تكون هذه الفتاة ملكة علينا ، فليس معنى ذلك اصرارنا على أن تكون جلالتكم ملكا !

(ضحك وتصفيق حاد)

الملك : (فى هدوء) كنت على استعداد لأن أتزوجها ولكنها خذلتنى تخلت عنى .

جميل : تخلت عن الملك . ضربته بالشلوت !

(ضحك وصفير من الجماهير)

العامل الاول : يسقط هذا الملك !

العامل الثانى : عمود النار للملك !

نمرود : (منتصرا) ضعونى فى مكانه . وأنا وحدى الذى سأكون أول رئيس للدولة الاشتراكية .

العامل الأول : اننا نعرف هذه الدول الاشتراكية الحقيقية .. أنت لا تعرفها !

جميل : كل ما يفعلونه هو أن يجعلوا الملوك والرسميين أغنياء ..

نمرود : سأغزو العالم من جديد . سأشعل نيران الوطنية فى بابل . واذا كانت هناك قرى وراء حدود لبنان ، فهناك قرى أخرى وراء البحر .

العامل الثانى : انه مصاص للدماء كالآخر .

العامل الأول : لا نريد غزوات دولية .

الزوجة الأولى : لقد أكلوا أولادنا فى الحروب .

الزوجة الثانية : لا ملوك بعد اليوم !

(صمت . والكل ينظرون فى قلق الى الملك الذى جلس على العرش بلا حركة)

الملك : اننى أعيد الفتاة . لتكن زوجة لمن يحبها أكثر .

(أصوات وضوضاء واضطراب من الجميع)

أصوات رجال : لى ! لى ! أنا أحبها ! أحبها أكثر .. أعبدها .. أموت فيها !

نجيب : انها لى . أنا صاحب البنوك . أنا وحدى الذى أملك المال الذى يجعلهـــا قادرة على أن تعيش فى أحسن حال يليق بأصلها .

الملك : أنت غلطان . يا صاحب البنوك . ان الفتاة تحب شحاذا نسيت اسمه . التقت به صدفة على شاطىء الفرات . وطلبت منى أن أكون شحاذا وستطلب منك نفس الشىء .

(ويتراجع صاحب البنوك)

هل تريدها ؟ هل تتخلى عن ملايينك من أجلها ؟ هل تريد أن تكون أفقر انسان فى بابل ؟ أيكم الشحاذ الذى لم يعد له وجود ؟ هل تقبل يا تاجر النبيذ ؟ وأنت يا بائع اللبن ؟ وأنت يا رجل البوليس ؟ هل تقبل أيها الجندى ؟ وأنت أيها العامل؟ ليتقدم من يريد أن يترك كل شىء من أجلها (صمت) لا أحد يتكلم ؟ هل تردون هدية السماء ؟ (صمت) ربما وجدت فيها السيدة الحسناء فائدة أخرى ؟ ربما عاونتها فى أعمال البيت؟ وطبعا لابد من موافقة سلطات الكنيسة .

طمطم : فى بيتى ؟ هذه الفتاة ؟ ان بيتى محترم . يا صـــــاحب الجلالة .

الملك : لا أحد يريد فتاة السماء .

العامل الأول : أعدها الى الشحاذ عاقى .

الملك : الشحاذ عاقى مات .

(كوروبى تتنبه وتصدم)

العامل الثانى : الشعراء هم أنسب الناس !

الجماهير : الشعراء ! الشعراء !

الملك : لم يعد هناك شعراء . لقد أعدموا جميعا !

الزوجة الأولى : اعطها للجلاد !

الملك : سأعطيها للجلاد .

(ويشير بيده فيتقدم عاقى)

كوروبى : (للجماهير) انقذونى .

العامل الأول : ساحرة !

رجل البوليس : سحرتنا .

جميل : نحستنا .

العامل الثانى : أفقرتنا .

أصوات : اقتلوها .

أصوات أخرى : أتركوها .. لا تلمسوها ..

كوروبى : (تتجه الى كبير الكهنة) انقذنى يا أبى . خذنى معك .

(يبعد عنها كبير الكهنة)

(وتتجه هى فى يأس الى الجماهير)

كوروبى : انقذونى انقذونى .

(ويظهر الملاك فجأة وراء عرش الملك وقد أضاف الى جناحيه بعض الريش وقواقع البحر . ويلمع فى الضوء)

الملاك : كوروبى . كوروبى . ابنتى ! الملاك .

كوروبى : ملاكى . ملاكى ..

الملاك : لا تخافى يا ابنتى .. لا تندهشى لمنظرى .. اننى غريب بعض الشىء لقد خرجت من البحر توا ولا تزال الأعشـــاب البحرية عالقة فى جناحى ولا يزال الماء يتساقط منها .

كوروبى : انقذنى . لقد جئت فى الوقت المناسب . خذنى معك .

الملاك : كل ما وجدت فى النجوم انما يكشف عن عظمة الله . ولكن كل ما وجدت فى النجوم البعيدة لا يساوى شيئا أمام هذه الكرة الصغيرة المربوطة بالشمس . والتى يدور حولها قمرها الصغير والملفوفة فى الأثير بين قاراتهـــا الخضراء وبحارها الزرقاء .

كوروبى : خذنى معك الى السماء . انشر جناحيك واحملنى بعيدا عن هذه الأرض . اننى خائفة لقد تخلوا عنى جميعا .

الملاك : والآن سأطيرمحملا بالأحجار الملونة مليئا بالأفكار العجيبة، ومعى كل هذه المعلومات الباهرة الرائعة محملا بكل شىء

جديد مدهش أرحل عن هذه الأرض ·· أطير بعيدا عنها ·· وسأترك لك سعادتك على هذه الأرض ·· وســأعود ، الى الشموس ·· الى النجوم ·· الى المجرة ··

كوروبى : (فى يأس) خذنى معك بعيدا عن هذه الأرض خذنى معك أيها الملاك ··

الملاك : وداعا يا كوروبى · ودعا الى الأبد يا ابنتى (ويختفى)

الملك : لقد طار المــلاك ·· عائدا الى عالم النجوم ·· أنت الآن وحدك · هجرتك السماء · وتخلت عنك الأرض ·

كوروبى : (فى رقة وحزن) خذنى معك يا ملاك ·· خذنى معك (صمت) ·

الملك : يا جلاد · خذ هذه الفتاة الى الصحراء · اقتلها وادفنها فى الرمـال ·

(عاقى ياخذ كوروبى وسط الجماهير الصامتة)

(وفى أسى شديد)

اننى أنشد الكمال فى كل شىء ·· لقد خلقت نظاما جديدا ·· وحرصت على أن أقضى على الفقر · وأردت أن أفتتح عصر العقل · وقد أشاحت الســماء بوجهها عن كل ما حققت للانسانية من أعمال · فأنا الآن ملعون من السماء ·

(وينظر قائد الجيوش فى مؤخرة المسرح محاطا بعدد من الجنود)

القائد : عاد جيشك أيها الملك · لقد بلغتنا ثورة الشــعب فى الوقت المناسب · فالقصر محاصر والشعب يطلب رحمتك ·

الرحمة أيها الملك العظيم · الرحمة !

الجميع : الرحمة تخليت عن هــذه الفتاة من أجل قوتى · ورئيس

الملك : الوزراء تخلى عنها من أجل الدولة · وكبير الكهنة خذلها من أجل الدين · وأنتم جميعا خذلتم هذه الفتاة من أجل ثرواتكم ·· من أجل كل ما تملكون · الآن تسود قوتى وسلطانى ونفوذى كل شىء · الدولة والدين وكل ما يملك الشعب · أعتقل رئيس الوزراء وكبير الكهنة والشــعب · أحبســهم جميعا · وسأستخرج من أجسامهم أسلحة أنتقم بهـا مما أصابنى من عار ·· هل أصبحت السماء عالية لدرجـة أن لعناتى لا تبلغها ؟ هل الســـماء متســـامحة لدرجة أننى لا أستطيع أن أكرهها ؟ هل هى أقوى من ارادتى ؟ أنبل من روحى ؟ أجرأ من شجاعتى ؟ سأحشر الناس جميعا فى مكان واحد ، وأبنى حولهم سورا وأقيم لهم برجا ينطح السحاب ويصل الى قلب السماء ، وسأعارض نظرية الخلق من العدم، وسأقاوم خلق روح الانسان من لا شىء ، وستعرف أينا أكثر عدلا : عدلى أنا ، أو ظلم آلسماء !

(طاه ورئيس الحرس يسرعان الى المسرح الخالى)

الطاهى : كل ما عندنا من نبيذ قد شربوه ·

قائد الحرس : والســجون خلت كلها وانفتحت أبوابها وهرب الشعراء ·

(الجلاد السابق يدخل مندفعا من ناحية اليمين)

الجلاد : مكتبتى اختفت ·· لا أدرى أين ذهبت كتبى ؟

(الأبله يمر بالمسرح ما شيا على حبل مشدود ويخفى الملك وجهه فى غيظ شديد وفى أسف لاحد له)

الملك : لا ٠٠ لا ٠٠

(يسود الظلام ٠ ويختفي المنظر كله ٠ وتبدو للعين سماء حمراء بلا حدود وفي هذه الصحراء يظهر عاقى وكوروبى معـا) ٠

عاقى : ابعدى من هنا ٠٠ يا ابنتى ٠٠ ابعدى ٠٠ هيا بنا الى قلب العواصف الرملية التى تكاد تمزق ملابس الجلاد ٠٠ ابعدى من هنا يا ابنتى ابعدى ٠

كوروبى : اننى أبحث عن شحاذ نينوى ٠٠ عن الشحاذ الذى أحبه ٠٠ الشحاذ الذى فقدته ٠

عاقى : أما أنا فأحب الأرض التى لاتزال موجودة فى أرض الشحاذين ، وحيدة في سعادتها وحيدة فى أخطارها ، مليئة بالألوان رائعة فى كل امكانياتها ٠٠ أرض أغزوها وأغزوها من جديد دون أن يقهرنى أحد ٠٠ تقدمى يا هبة السماء لى يوما ٠٠ يا هبة السماء عدت لى ٠٠ تقدمى لكى أهرب من قدرى ٠ أمضى يا ابنتى لقد أسلمونا للموت ٠٠ ووراءنا برج بابل يشمخ عاليا يقاوم السـقوط بأحجاره وأعمدته الحديدية ووراءه الفرسان الذين يطاردوننا وأمامنا ، ما الذى أمامنا ؟ قـوة تنتقصها الشجاعة ٠ أقدام تغوص فى الرمال ٠٠ صـخور تعوق حريتنا وأخيرا أرض واسعة لا تعرف ما ضيننا ٠٠ انها أرض تلمع فى ضوء فجر جديد ٠٠ مليئة بالآمال ، بالاتهامات، ولكنها مليئة أيضا بكثير من الوعود وبالاغانى من أجل صبح جديد ٠٠

(ويختفيان ، ووراءهما عدد من الشعراء)

(سـتار)